دكتور محمد خليفة حسن

الحركة الصهيونية

طبيعتها وعلاقاتها بالتراث الديني اليهود

دار المعارف

الحركة الصهيونية

طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي

تأليف

دكتور محمد خليفة حسن

قسم اللغات الشرقية

كلية الاداب – جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

١٩٨١

دار المعارف

الناشر : دار المعارف — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة — ج٠م٠ع

محتويات الكتاب

صفحة

الباب الثالث

الأيديولوجيات الصهيونية الأساسية : نصوص من الادب

إهـداء

الى والـدى ...

مع أمنياتى الدائمة بالصحة والسعادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

نشأت الحركة الصهيونية المعاصرة لهدف واحد محدد ، وهو اقامة وطن قومى لليهود المشتتين فى أنحاء العالم • وقد وقع اختيار زعماء الحركة على أرض فلسطين لتكون هذا الوطن الذى سعوا الى اقامته • ومن هنا فدراسة الحركة الصهيونية ونتاجها الفكرى ينطوى على ضرورتين هامتين بالنسبة للانسان العربى :

الضرورة الأولى : ضرورة قومية تلزم الانسان العربى بمعرفة تاريخ الحركة الصهيونية ، ودراسة برنامجها السياسى ، وفكرها الأدبى حتى يكون فى استطاعته الرد على أصحاب الحركة الصهيونية ، وادعاءاتهم والدفاع عن الحق العربى بأسلوب علمى بعيدا عن المهاترات • ولن يتأتى هذا الدفاع الا عن طريق المعرفة العلمية السليمة بالحركة وروادها •

والضرورة الثانية : ضرورة علمية يفرضها علينا الواجب العلمى ، فالصهيونية ، ككل الحركات السابقة عليها ، أو اللاحقة بها ، تقدم لنا مجموعة من المعلومات التاريخية والآراء الأيديولوجية ، ومن حقها علينا أن تعرف فى اطار علمى موضوعى •

وقد يظن القارىء أن هناك تعارضا أو تناقضا بين هاتين الضرورتين • والحق أنه لا يوجد أى تعارض بين الضرورة القومية والضرورة العلمية • فلو لم تكن لنا نحن العرب مشكلة سياسية عسكرية مع أصحاب الحركة الصهيونية ، لاقتصرت دراستنا للحركة الصهيونية ، واهتمامنا بها على جانب المعرفة العلمية فقط • ولكن نحن فى صراع سياسى عسكرى ضد الصهيونية ،

وهذا يعطى لمعرفتنا بالصهيونية هدفا أبعد وأعمق منمجرد المعرفة الفكرية المجردة، وهذا يضعنا فى نفس الوقت فى مشكلة : وهى أننا عندما نقرأ عن الصهيونية ونتعرف عليها لا نفعل هذا بالعقل فقط ، ولكن تلعب عواطفنا أيضا دورا هاما فى معرفتنا بالصهيونية • اذ لا يستطيع الانسان العربى أن يقـــرأ شيئا عن الصهيونية ، ويكبح فى نفس الوقت جمـــــاح غضبه وعواطفه المتأججة غيظا ، وحنقا على أصحاب هذه الحركة الذين حققوا أهدافهم عـلى حساب الانسان العربى •

المشكلة اذن تتلخص فى التالى : كيف يمكننا كعرب أن نترك العاطفة جانبا ، وننظر الى الحركة الصهيونية وفكرها نظرة عقلانية محضة • وهذه ليست دعوة الى التسامح مع الصهيونية أو الى غض النظر عن الشرور التى ارتكبتها فى حق الانسان العربى ، ولكنها دعوة الى الفهم العقلى غير المتأثر بالعاطفة لفكر هذه الحركة وتطوره حتى يمكننا التعرف على طبيعتها الحقة • ونكون بهذا قد حققنا أول خطوة جادة فى سبيل الدفاع عن القضية العربية ، وهذه الخطوة هى المعرفة العلمية بالحركة وفكرها •

وهذا كان الخطأ الذى وقع فيه كثير من الكتاب العرب أنهم ، بحكم تحمسهم وغيرتهم على القضية العربية ، لم يعطوا دراسة الصهيونية حقها، ولذلك جاء دفاعهم عن القضية دفاعا متهورا أضروا به القضية العربية أكثر من افادتهم لها • وقد حان الوقت للتريث العلمى ، فصراعنا مع الصهيونية صراع طويل ، لأنه صراع فكرى حضارى فى المقام الأول ، وليس سياســيا عسكريا فقط ، كما يعتقد الكثيرون • وهذا الصراع الحضارى أقدم بكثـير من التاريخ الحديث للحركة الصهيونية ، وهو فى نفس الوقت صراع مستمر ستكون الغلبة فيه لمن يملك المعرفة الحقة لفكر الآخر • واذا كانت الحركـة الصهيونية قد لاقت نجاحا فى تاريخها المعاصر ، فانما يرجع ذلك الى علـة واحدة وهى معرفة الصهاينة والمسؤولين عن الصهيونية بأحوال العـــرب وأنماط سلوكهم ، وتقاليدهم وعاداتهم ، فى نفس الوقت الذى جهل فيـــه العرب كل شىء تقريبا عن الصهاينة ، وفكرهم وأحوالهم •

وبناء على هذا ، فالمعرفة السليمة بالحركة الصهيونية لا تخدم فقـط

القضية العربية فى شكلها السياسى فقط ، ولكنها ضرورية للدفاع عن قضية الحضارة العربية ضد الصهيونية التى حاولت ولا تزال تعمل على تشويه الحضارة العربية ، وتقديمها للغرب فى صورة مهلهلة رثة اكتسبت به عن طريقها تعاطف الغرب . وعندما تقدمت الصهيونية بأطماعها السياسية فى الأرض العربية ، وجدت من الغرب كل التأييد والمساعدة . اذ أتحدت أهداف الصهيونية وأهداف الاستعمار العالمى فى ضرورة الغزو الحضارى لمنطقة الشرق الأوسط ، ونشر المدنية الغربية فى بلاد صورها الصهاينة لزعماء الغرب على أنها صحراء جدباء ، لا حضارة فيها ، ويعيش بها شعب متخلف ثقافيا وفى حاجة ماسة الى المدنية . ويا له من هدف انسانى أن تتحول هذه الأرض الى المدينة ، وتدخل فى دائرة الحضارة على يد الصهيونية . فالهدف الأخير كما صوره زعماء الصهيونية هو نشر المدنية الغربية ، ورسمته الصهيونية على أنه واجب وضرورة انسانية . وبطبيعة الحال لم يعترض الغرب ، وهل هناك من يعترض على نشر الحضارة ؟ وها هو موشى هس (١٨١٢ ــ ١٨٧٥م) أحد كبار زعماء الصهيونية ، وأول مفكر صهيونى يحدد هدف الصهيونية بأنه هدف حضارى يمكن يهود العالم من القيام بدور فعال فى بناء عالم الغد ، وتصبح الأمة اليهودية رقيبا ومعلما لشعوب الشرق ، وتتفق هذه الفكرة مع الفكر الاستعمارى الغربى الذى كان ينادى بضرورة استعمار دول الشرق لبعث المدنية ، ونشر الحضارة الغربية لرفع المستوى الحضارى لشعوب الشرق . ويخلط هس بين فكرة اختيار الشعب اليهودى وفكرة نشر الحضارة ، ويعتبر نشر الحضارة الى الشرق المتخلف ، وهو فى رأيه هذا يقترب من رأى تيودور هرتسل ، رائد الصهيونية السياسية ، الخاص باقامة دولة تكون بمثابة سويسرا يهودية ، ومثالا للحرية والديمقراطية فى العالم .

ولا يخفى التفكير العنصرى فى مثل هذه الأفكار . اذ أنها جميعا تحاول التأكيد على أفضلية وتفوق العنصر اليهودى . والدفاع عن الحضارة العربية مهمة شاقة تتطلب منا أولا مراجعة كل الوسائل الصهيونية التى استخدمت لتشويه وجه هذه الحضارة ، ودراسة هذه الوسائل دراسة علمية جادة ، والرد عليها وتصحيح ما استطاعت الصهيونية طمسه أو تزييفه من عناصر

الحضارة العربية ومظاهرها بعد أن ادخلت عليها بعض التعديلات التى تجعلها تلاءم الحياة اليهودية ، وقد كان هذا أمرا سهلا بالنسبة للجماعات اليهودية التى عاشت بين العرب لفترة طويلة مكنتهم من تسرب الحضارة العربية فتعلموا اللغة العربية ، وتحدثوا وكتبوا بها واكتسبوا كثيرا من العادات العربية • وقد سهل هذا على الصهاينة فى العصر الحديث أن يدعوا الأنماط العربية الحضارية ، وينسبونها الى أنفسهم ، والعرب فى غفلة عما يحدث لحضارتهم ، وقد تعدت المشكلة حدود المظاهر الحضارية من فكر وعقيدة ، وامتدت الى المستوى الشعبى الفولكلورى فادعى الصهاينة ملكية مظاهر كثيرة من أدبنا الشعبى ، بل وقدموا للأسواق الأوربية والأمريكية كثيرا من أنواع الحلى والمجوهرات والملابس العربية المطرزة ، وأنواع المأكولات والحلوى العربية على أنها أصناف اسرائيلية • ولهذا فالدفاع عن الحضارة العربية ضد هذا الاغتصاب الصهيونى يجب أن يتم على مستويين : المستوى الفكرى العقائدى والمستوى الشعبى الفولكلورى حتى تتمكن الأمة العربية من استرداد كل حقوقها الضائعة المادية منها والمعنوية •

***

الباب الأول

موقف الصهيونية من التراث اليهـــودى

الفصل الأول

علاقة الصهيونية بالتراث اليهــــودى

يقدم المؤرخون اليهود الحركة الصهيونية على أنها احدى الحــــركات القومية التى نشأت فكرتها وتطورت بين الحركات القومية الأوربية فى القرن التاسع عشر ، ويعترف هؤلاء المؤرخون بأن الصهيونية كحركة قوميـــــة تختلف عن بقية الحركات القومية الأوربية فى أنها لم تتوفر لها أهم مقومات الحركة القومية من وجود أرض قومية ، ووجود لغة قومية • (١) ولهـــــذا فالحركة الصهيونية جعلت من أهدافها الوصول الى تحقيق هذين الهدفين وهما : انشاء الوطن اليهودى ، واحياء اللغة العبرية واعتبارها لغة قومية للشعب اليهودى • وكما أن المؤرخ لا يعرف بالضبط أين يضع الحركــــــة الصهيونية فى تصنيفه للحركات القومية ، فهو أيضا لا يعرف أين يضع هذه الحركة فى الاطار العام للتاريخ اليهودى • فالحركة الصهيونية تمثل مشكلة فى التاريخ للشعب اليهودى ، ولهذا نجد المؤرخ اليهودى نفسه فى حـــيرة من أمره ، وفى هذا يقول أحد المؤرخين اليهود : « الصهيونية أكثر مسائل الحياة اليهودية اثارة للجدل • وينقسم الرأى بخصوصها فى حدة شديدة ،

---

(١) Jacob Katz, «The Jewish National Movement : a Sociological Analysis» in, Jewish Society Through the Ages, ed. by H.H. Ben Sasson and S. Ettinger, Schocken Books, N.Y., 1973. p. 268.

والنقاش حولها يدور مشحونا بالانفعالات » (١) ويعتقد نفس المؤرخ أن من بين أسباب الاختلاف حول الصهيونية أنها ظاهرة معقدة وأنها « أكبر من مجرد مشروع لاستيطان اليهود فى فلسطين » (٢) ٠

ويقول كاتب يهودى آخر : « الصهيونية ظاهرة معقدة التركيب ولا يفهمها جيدا الا نسبة ضئيلة جدا من نقادها ونسبة أقل من مؤيديها » (٣) ٠

المؤرخ اليهودى اذن لا ينظر الى الصهيونية كظاهرة مستقلة عن بقية ظواهر التاريخ اليهودى ، وهو دائم البحث من أجل ربط الصهيونية بالتاريخ والتراث اليهودى ٠ فهو يحاول تفسير الصهيونية فى اطار فهمه العام للماضى اليهودى ، وهو فى هذا يدخل فى حوار مع الصهيونية التى جعلت من أهدافها اعادة تفسير التاريخ اليهودى ليناسب فكرة الصهيونية ، فشرحت كثيرا من أحداث الماضى اليهودى بطريقة تجعل من ظهور الصهيونية ضرورة تاريخية، بل وتجعل من التاريخ اليهودى بطريقة تجعل من ظهور الصهيونية ضرورة تاريخية ، بل وتجعل من التاريخ اليهودى كله مقدمة للصهيونية ، وتمهيدا لظهورها من ناحية ، وتعلل من ناحية أخرى ضرورة الحركة ، وتجد لها مكانا مناسبا فى الفكر اليهودى ٠ وعلى هذا الاساس نجد أن معظم النظريات الصهيونية قد صيغت فى اطار التفسير العام لمعنى ومضمون التاريخ اليهودى ٠

١ ـ الصهيونية والخلاص :

ومن المشاكل الأخرى التى تواجه المؤرخ للصهيونية ، مشكلة تحديد

---

(١) Milton Steinberg, A Partisan Guide to the Jewish Problem the Bobbs — Merrill Co., Newyork, 1945, p. 221.

(٢) Ibid, p. 223, 224.

(٣) Michael Selzer, ed., Zionism Reconsidered : The Rejection of Jewish Normalcy, The Macmillan Co., N.Y., 1970, p. XI.

ماهية أو طبيعة الصهيونية كحركة ، هل هى حركة قومية تعبر عن الواقع السياسى اليهودى ومتأثرة بالحركات القومية الأوربية التى نشأت بينها ، أم أنها حركة دينية نابعة من الفكر الدينى اليهودى ، ومستمدة لافكارها ونظرياتها من التراث اليهودى ، وبخاصة عقيدة المسيح المخلص ، وهى أهم الأفكار الحشرية التى شملتها العقيدة اليهودية ؟

فالذين يبحثون عن صلة تربط الصهيونية بالتراث اليهودى يرون فى الحركة رمزا لمفهوم « نهاية الأيام » ، ويرون فيها أيضا تحقيقا للتحرر من حياة المنفى ، ونهاية لحياة التجوال ، وبداية للاستقرار ، وهذا كله يعنى أن فكرة الصهيونية فى رأيهم امتداد للفكر الخلاصى فى اليهودية ، وقد وصفها البعض بأنها حركة خلاص علمانية فى الفكر وفى وسائل التنفيذ ، وهذا يعنى أن زعماء الصهيونية استغلوا فكرة دينية لها مكانتها فى الديانة اليهودية ، وهى فكرة الخلاص والمسيح المخلص ، وحاولوا تنفيذ هذه الفكرة بوسائل علمانية عن طريق استغلال الظروف السياسية وتطبيق سياسة الاستيطان ، ومحاولة اقناع الجماعات اليهودية بأنها أمة لها حرية تقرير المصير (١) الى آخره من محاولات تغيير المعنى الدينى للخلاص الى مضمون علمانى حتى تقتنع هذه الجماعات ، وبخاصة الدينية منها ، بأن الفكر الصهيونى ما هو الا امتداد طبيعى للفكر الدينى اليهودى بل ونتيجة طبيعية لهذا الفكر . فالصهيونية حسب هذا التفسير هى الحلقة الأخيرة فى سلسلة الأحداث التاريخية اليهودية التى بدأت بالسبى البابلى ، وتشريد الجماعات اليهودية ، ومنها أيضا تدمير الهيكل على يد الرومان الى آخره من أحداث الاضطهاد ـ التى جعلت ظهور الصهيونية ضرورة تاريخية فى رأى أصحاب هذا الاتجاه ، الذين يحاولون أيضا تفسير فكرة العودة الى « صهيون » بأنها فكرة قديمة فى التاريخ اليهودى ، تؤكدها فى رأيهم الرحلات المتوالية الى أرض فلسطين ، والتى قام بها بعض الأفراد أو

---

(١) Arthur Hertzberg, ed. the Zionist Idea, A Historical Analysis and Reader 4th. printing Atheneum, New York, 1971, p. 16.

الجماعات اليهودية الصغيرة من أتقياء اليهود بعد السبى وخلال العصور الوسطى ، وهم (١) بهذا يفهمون ظهور الحركة الصهيونية ، وقيام دولة

---

(١) يحاول كثير من المؤرخين اليهود المؤمنين بفكرة الصهيونية العودة بها الى الماضى البعيد فى التاريخ اليهودى ولا يعتبرونها ظاهرة حديثة فى أصولها فهناك مثلا محاولات لارجاع ظهور فكرة الصهيونية الى فترة دمار الهيكل وبداية الشتات حيث بدأت محاولات العمل على العودة الى فلسطين • ويعود هؤلاء المؤرخون الى نصوص الصلوات والأدعية اليهودية الدينية لاثبات هذا الرأى وفى هذا يقول ملتون شتينبرج : « فى كل صلاة عامة ، صباحا أو بعد الظهر أو مساء ، وفى كل صلاة فردية سواء فى صلاة المائدة بعد الوجبات أو عند النوم ، صلى اليهود من أجل العودة الى صهيون وفى اثنتين من الصلوات الهامة المقدسة فى التقويم اليهودى وهما الصلاة الخاصة بالفصح ويوم الغفران ، تنتهى الصلاة عادة بأدعية قصيرة حارة لله من أجل هذا الأمر (العودة) • » وطبيعى جدا أن يحاول هؤلاء المؤرخون أن يجعلوا من فكرة الصهيونية فكرة مستمرة فى الوجدان اليهودى الى أن تتحقق ، ولهذا يحاولون أن يجدوا لها أدلة فى كل عصر من عصور التاريخ اليهودى بعد السبى البابلى • ففى العصر الوسيط مثلا يجد المؤرخ اليهودى فى شعر يهوذا اللاوى العبرى فى قصائده الخاصة بصهيون ، والأبيات التى نظمها فى تمجيد الأرض المقدسة ، يجد فى كل هذا دليله على استمرار فكرة العودة وبالتالى فكرة الصهيونية فى الشعور اليهودى ولنقرأ كلمات شتينبرج التالية التى تؤكد لنا كيف يحاول المؤرخ الصهيونى المعاصر ربط صهيونيته بالتاريخ اليهودى حيث يقول : « بقدر ما كان الشوق الى استرداد صهيون قويا ، لم يحاول الانسان اليهودى فى العصر الوسيط أن يحقق هذه الفكرة بالعمل المباشر ، لقد أربكته الظروف وأضعفته حتى يئس من قوته ••• وهكذا، على الرغم من وجود طرق لعودة المنفيين الا أنه لم تكن هناك محاولات على مجال أوسع لعودة الشعب الى أرضه ، لقد كان الحلم غيبوبة » أنظر ملتون شتينبرج ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ •

اسرائيل على أنه تحقيق لرغبة كامنة فى روح الانسان اليهودى ، وهى رغبة العودة • (١)

وهنا يخلط مفكرو الصهيونية بين الشعور الدينى لدى الانسان اليهودى وبين الأحداث السياسية كحادثة السبى البابلى مثلا • فرغبة يهود المنفى فى العودة هى محاولة لانهاء وضع سياسى تسبب فى ابعادهم ونفيهم الى بابل • أما قيام أحد أتقياء يهود أوربا بأداء فريضة دينية ، وهى زيارة الأرض المقدسة ، فهو تعبير عن تجربة دينية فردية لا عن رغبة جماعية فى العودة كما يفهمها زعماء الصهاينة • وهى عادة دينية لا يزال يقوم بهـا بعض اليهود الذين لم يهاجروا الى اسرائيل بعد قيامها •

هذا بالاضافة الى أنه بعد قيام اسرائيل لم يهاجر اليها كل يهـود العالم تحقيقا لأمل العودة الذى يتحدث عنه زعماء الصهيونية ، وأن كثيرين ممن هاجروا فعلوا ذلك نتيجة لضغوط صهيونية أجبرت الكثيرين من يهـود أوربا والعالم على الرحيل الى فلسطين • ولو كانت العودة تعبيرا عن رغبة دينية جماعية ، وانعكاسا لتجربة دينية صادقة لتمت هجرة كل يهود العالم، ولتغير أسلوب الحياة الاسرائيلية ذاتها بشكلها العلمانى المادى الى حياة يتحكم فيها الشعور الدينى الصادق • بل والأكثر من هذا أنه لو كانت العودة عودة دينية محضة لما حدث ما يسمى بالهجرة العكسية التى هـى

---

(١) فسر بعض اليهود قيام دولة اسرائيل على أنه تحقيق للوعيد المسيحانى بالخلاص وان كان بعض اليهود قد اعتبرها تحقيقا جزئيا فقط ، وان التحقيق الكامل للخلاص هو الخلاص الروحى لكل البشرية « عندما يكتمل العالم عدالة وأخوة وسلاما تحت حكم مملكة الخلاص الالهية »•

أنظر فى هذا : **Abba Hillel** Silver,

A History of Messianic Speculation in Israel, from the first through the 17th Centuries, Beacon Press, Boston 1959, p. XX, xxI.

خير دليل على عدم توفر العنصر الدينى فى فكرة العودة التى طالما ادعاها مفكرو الصهيونية ، وتعطينا الاحصائيات الاسرائيلية الرسمية فكرة واضحة عن عدد الذين هاجروا من اسرائيل ، ففى الفترة المحصورة بين ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠ بلغ عدد النازحين من اسرائيل ١٢٩ ألف نسمة وتشير احصائيات المكتب المركزى فى اسرائيل الى أن عدد الذين غادروا اسرائيل منذ ١٩٤٨ الى ١٩٧٠ وصل الى ٢٠٠ ألف يهودى (١) • والسبب الذى يعطيه هذا التقرير لانخفاض معدل الهجرة هو أن « اليهود الذين كانوا يحتاجون الى ملجأ وملاذ ويعتبرون أن اسرائيل تؤمن لهم هذه الحاجة قد جاءوا اليها بالفعل » (٢) •

ويعترف بعض الدارسين للحركة الصهيونية بهذا التناقض فى الفكر الصهيونى ويرجعونه الى محاولة زعماء الصهيونية استغلال أحداث الماضى لتدعيم قضية سياسية معاصرة • وفى هذا الشأن يقوم آرثر هرتسبرج : ان مثل هذا التفكير ينتمى الى ما يسمى بالصهيونية التوفيقية ، أى التى تحاول التوفيق بين حاضر الصهيونية وماضى التاريخ اليهودى • وهى فلسفة تقدم الصهيونية على أنها تعبير عن مفهوم « نهاية الأيام » فى الفكر الدينى اليهودى ، وتحقيقا له • وهذا الافتراض ليس له فى رأى هرتسبرج ما يبرهن عليه ، حيث أن حاضر التاريخ لا يدل على أن مفهوم « نهاية الأيام » وقدوم المسيح المخلص قد تم بالفعل فما زال الموقف اليهودى فى العالم على ما هو عليه (٣) • وعلى الرغم من أن الصهيونية قد حققت هدف العودة بانشائها لدولة اسرائيل الا أن الصهيونية لم تحقق الخلاص المنتظر ، ولم تغن عن قدوم المسيح المخلص ، اذ لا يزال حال اليهود فى العالم وموقفهم

---

(١) د• أسعد رزوق ، فى المجتمع الاسرائيلى ، محاولة أولية لدراسة التناقض والتكامل من زاوية علماء الاجتماع فى اسرائيل وخارجها ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧١ ص ٥٤ ، ٦٦ •

(٢) المرجع السابق ص ٧١ •

(٣) The Zionist Idea, p. 17.

متواترا وحساسا كما أنهم لا يزالون مشتتين فى أنحاء العالم (١) • وأن من يقول بأن الصهيونية جمعت شمل اليهود ، أو ستجمع شملهم فهو خاطىء وعلى هذا فالاعتقاد فى أن الصهيونية اتمام للفكر الخلاصى اليهودى ، أو انجاز له انما هو من صنع خيال بعض المتطرفين من الصهاينة الذين اهتموا فقط بالجانب التنفيذى لفكرة الخلاص الذى حولوه الى خلاص علمانى يحدث فى هذا العالم ، ولا علاقة له بنهاية الأيام • وقد تمكن هؤلاء المتطرفون من فرض سيادتهم على الفكر الصهيونى عامة بأيديولوجياته المتعددة ، وخلقوا بهذا ذلك التوتر الشديد والتناقض بين ما يدعو اليه مفهوم الخلاص بمعناه الدينى ومعناه الصهيونى العلمانى •

والأزمة الدينية التى سببتها الصهيونية نتيجة لهذا التفسير الجديد الذى قدمته لمعنى الخلاص تتلخص فى أن الديانة اليهودية صورت الخلاص فى صورة لقاء بين الانسان اليهودى والهه ، فالفكرة دينية حشرية بمعنى أن هذا اللقاء المنتظر هو من بين الأحداث التى سيتم وقوعها بعد نهاية العالم ، أو كما يسميها بعض علماء الأديان بالأشياء الأخيرة أو بأحداث ما بعد الموت • وفى هذا علاقة واضحة بين فكرة الخلاص فى اليهودية ، والخلاص فى الأديان الأخرى كالمسيحية والاسلام ، مع بعض الاختلافات التفسيرية لمضمون الخلاص ، وكيفيته فى هذه الأديان سواء فى وصف السبيل المؤدى الى الخلاص ، والذى يجب على التابع لأى دين من هذه الأديان أن يسلكه فى حياته الدنيا ، أو فى وصف شكل الخلاص • وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، وقد تكون له آثار فى حياة الفرد الدنيوية •

غيرت الصهيونية من هذا المعنى العام لفكرة الخلاص ، وحولته الى حوار بين اليهودى والعالم بدلا من كونه تعبيرا عن اللقاء الأخروى بين الانسان اليهودى وربه ، واضطرت الصهيونية أيضا الى تحوير معنى المسيح المخلص الذى سيأتى فى نهاية الأيام لتنفيذ الخلاص • اضطرت الصهيونية الى اعلان أن هذا المسيح المخلص ليس انسانا أو شخصا من نسل داوود له

---

(١) المرجع السابق ص ١٧ •

قوى خارقة للعادة ، ولكنه فكرة أو رمز الى حرية الانسان اليهودى الفردية ، وحريته القومية كما أنه اشارة الى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية لجموع اليهود ، أو بمعنى آخر هو رمز لتحقيق سعادة ورفاهية الانسان اليهودى والجماعة اليهودية ، وربما كانت بديلا لسعادة الآخرة • فالمسيح المخلص اذن أصبح تشخيصا لأبطال الحرية أشبه بهؤلاء الذين حققوا مبادىء المساواة والحرية والقومية لشعوب أوربا فى القرن التاسع عشر • ولا شك فى أن هذا التفكير ابتعد بمفهوم الخلاص عن أصوله فى الديانة اليهودية ، ولذلك لا ندهش اذا سمعنا أصواتا يهودية تنادى بضرورة عودة فكرة المسيح المخلص الشخصى ، وبضرورة عودة الخلاص المسيحانى الشخصى الذى قضت عليه الصهيونية فقضت معه على التجربة الدينية الذاتية التى كان يثيرها هذا المفهوم فى مشاعر الانسان اليهودى ووجدانه • فالاعتقاد التقليدى فى الخلاص جعل الخلاص نتيجة لأفعال الانسان كما أن قدوم المسيح المخلص يعتمد على نفس الشىء ، فاذا كانت أفعال الانسان أفعالا خيرة فان هذا يعجل من قدوم الخلاص واذا كانت شريرة فهذا يبعد زمن قدومه • وفى ذلك يقول المراش : « قال الله : كل شىء يعتمد عليكم فكما أن الزهرة تنمو وقلبها تجاه السماء فهكذا أيضا تتوبون أمامى وتتجهون بقلوبكم الى السماء فاجعل مخلصكم يظهر لكم » فالاستعداد الخلقى ضرورى لتهيئة المناخ لظهور المسيح المخلص (١) • وقد أكد التفكير المسيحانى للصهيونية المعاصرة على علمانية مفهوم الخلاص حتى أن ليون روث قد أشار الى « أننا لم نعد نتحدث بلغة التوراة : من سيحصى أعمال الرب الجبارة ؟ ولكن نسأل بلغة الانشودة الاسرائيلية التى تقول : « من سيحصى أعمال اسرائيل الجبارة ؟ » (٢) وهو بذا يشير الى التحول الذى أحدثته الصهيونية

---

(١) Abba Hillel Silver, A History of Messianic Speculation in Israel from the First through the seventeenth Centuries. Beacon Press, Boston, 1959. p. IX.

(٢) Steren S. Schwarzshild, «The Personal Messiah : Toward the Restoration of a Discarded Doctrine» in, Arguments and Doctrines, a Reader of Jewish Thinking in the Aftermath of the Holocaut, Selected with an introductory essay by Arthur A. Cohen, Harper and Row. N.Y. 1970, p. 537.

من التأكيد على أفعال الله الى التأكيد على أفعال اسرائيل . وقد عارض أحد المفكرين هذا الاتجاه الذى اتخذته الصهيونية بقوله : « ان الشىء الأكثر خطورة هو تلك الفكرة التى تخطر فى عقول عدد غير قليل من كبار الصهاينة بأن تأسيس دولة اسرائيل هو نفسه الانجاز المسيحانى ... وهنا يقع الطريق الى الدمار » (١) وقد عبر بعض يهود الغرب الذين رفضوا الهجرة الى اسرائيل عن اعتراضهم على هذا التغيير الذى طرأ على التفكير الخلاصى اليهودى ، وسببوا بهذا مشكلة جذرية للصهيونية فرفضهم يرجع الى أنهم : « لا يشعرون بأية حاجة للخلاص الشخصى عن طريق المجىء الى اسرائيل » (٢) .

والخطورة التى ترتبت على هذا التغيير الجذرى لفكرة المسيح المخلص أعمق من مجرد ابدال المفهوم الدينى بمفهوم علمانى . فهناك عدد من القيم الدينية اليهودية التى أثر فيها هذا التغيير ، وأحدث بذلك ارتباكا فكريا ودينيا ، وصدعا لم تبرأ منه الديانة اليهودية بعد ، بل أدى الى مزيد من التناقض فى بنائها . وأول مظاهر هذا التناقض يمكن التعبير عنه فى السؤال التالى : ما هو مصير الديانة اليهودية بعد الصهيونية ؟ وهل ظهور الصهيونية وتحقيقها للخلاص يعنى نهاية الديانة اليهودية ؟ **وهذا يؤدى بنا الى اثارة أكثر من سؤال** : ما هى القيمة الدينية للصهيونية ؟ وهل فى امكان الصهيونية أن تحل محل الديانة اليهودية ؟ (٣) وأى نوع من التجربة الدينية تلك التى يشعر بها من يسمى نفسه صهيونيا ؟ وهل تصلح الصهيونية لتصبح دينا ؟ وهل تتوفر للصهيونية مقومات الديانة ؟ .

كل هذه الأسئلة والاجابة عليها نفيا أو ايجابا تشير الى مدى ما أصاب الديانة اليهودية من تصدع على أثر هذه التغييرات التى أحدثتها الصهيونية،

---

(١) المصدر السابق ص ٥٣٧ .

(٢) نقلا عن : فى المجتمع الاسرائيلى د . أسعد رزوق . ص ٧١ .

(٣) بعض اليهود رفعوا الصهيونية الى مرتبة الدين ، فاليهودية عندهم هى الصهيونية .
انظر : Zionism Reconsidered, p. XI.

ويظهر هذا التصدع فى ردود الفعل المتباينة التى ووجهت بها الصهيونية من الطوائف الصهيونية المختلفة بين مؤيد ومعارض لأهداف الصهيونية ، كما سنحاول أن نبين فيما بعد ٠

٢ ـ الصهيونية والاختيار :

الى جانب هذا التساؤل العام والخاص بموقف اليهودية بعد الصهيونية نجد ان الصهيونية قد تسببت أيضا فى اثارة بعض الشكوك فيما يتعلق بمشكلة الاختيار ٠

فالاعتقاد فى أن اليهود هم « شعب الله المختار » ، وهو اعتقاد له أصول ثابتة فى الديانة اليهودية ، ويساهم فى البناء العام لليهودية كدين ، هذا الاعتقاد تعرض أيضا الى هزة عنيفة من جراء التناقض الصهيونى ٠ فمن المعروف أن الخلاص الذى تسعى اليه الصهيونية ، هو ازالة التوتر القائم بين الانسان اليهودى والعالم الذى يعيش فيه ، واعطاء اليهودى مكانا طبيعيا فى هذا العالم ، ومساواته بغيره من البشر ٠ وهذه الأفكار تتعارض مع فكرة الاختيار اذ كيف يتسنى للانسان اليهودى أن يكون مختارا من عند الله ، وفى نفس الوقت تنادى الصهيونية بمساواته ببقية البشر ، وكيف يكون لليهودى مكانا طبيعيا فى العالم وهو الذى اختار لنفسه مكانا فوق البشرية كانسان فى ميثاق مع ربه ، لا يشترك فيه غيره من أهل الأديان الأخرى ٠ ما هى اذن حكمة الاختيار اذا فسرت الصهيونية مفهوم « نهاية الأيام » على أنه اشتراك اليهودى بنصيب فى مجتمع المساواة ٠ واذا تساوى مع الأخرين فما قيمة الاختيار ؟ ٠

تعرض مفكرو الصهيونية لهذه المشكلة التى كان لابد من البحث عن حل لها، واختلفت الحلول المقدمة باختلاف المذاهب الصهيونية ٠ فالمفكر الصهيونى موشىهس يحاول التوفيق بين الاختيار والمساواة بتحديد دور جديد يلعبه اليهود فى العالم ، ويكون لهم بذا الأفضلية على بقية العالم الذى يدين لهم بالفضل ، وهذا الدور الذى يحدده هس ليهود العالم هو أن يكونوا نقلة الحضارة والمدنية الى شعوب العالم المتخلفة ، وأن تتحمل الجماعة اليهودية

مسؤولية الرقيب الأخلاقى (١) ، والمعالم لشعوب الشرق وغيرهم • وفى هذا تعويض عن مذهب الاختيار الذى تأثر بطلب المساواة ، ويرى هس أن الدولة اليهودية التى ستتم اقامتها ستكون لها وظيفة سامية فى المنطقة ، اذ ستكون الدولة الرائدة لمنطقة الشرق الأوسط والعالم ، ودولة مباركة تنشأ فيهـــا المثل الاشتراكيه وهذه كلها محاولات للرفع من شأن هذه الدولة واعطائها دورا فريدا تتميز به بين دول العالم ، محافظة على الاعتقاد بامتياز اليهـــودى وأفضليتـــه •

وقد سبق أن ذكرنا رأى هرتسل فى انشاء دولة تكون سويسرا يهودية ومثالا لما يسميه هرتسل بالليبرالية الارستقراطية • وقد انتقد بعض المفكرين هذه الآراء بأنها مجرد محاولات للتوفيق بين الاختيار والمطالبة بحـــرية اليهودى ومساواته بشعوب العالم •

ومن المفكرين الصهاينة الذين تعرضوا لهذه المشكلة آحادهاعم ، زعيم المدرسة الروحية فى الفكر الصهيونى • وقد حاول آحادهاعم التأكيد من جانبه على استمرار عقيدة الاختيار ، وذلك بتوضيحه للمبادىء الأخلاقية والدينية التى أقامتها اليهودية والتى ستظل فى رأيه فريدة من نوعها فى تاريخ البشرية • وعلى هذا فعصر الخلاص عند آحادهاعم هو عصر تزدهر فيه الاخلاقيات اليهودية فى مجتمع قومى فى فلسطين يعيش حيـــاة أخلاقية تكون مثالا يقتدى به العالم • ولعل واقع الدولة الاسرائيلية وبناءهـــا الدينى والأخلاقى يكذب مثالية آحادهاعم ، ويدحض الرســـالة التى نسبها الى الشعب اليهودى •

وهكذا نجد أن المفكرين الصهاينة فى محاولتهم التوفيق النظرى بـــين فكرة الاختيار ومبدأ مساواة اليهودى بغيره قد ازدادوا تعصبا للعنصـــر اليهودى بطريقة فاقت الفلسفة العنصرية التى يستند اليها الاعتقاد فى الاختيار، اذ أنه بدلا من أن تجد الصهيونية للانسان اليهودى مكانا يتساوى فيـــه

---

(١) Moses Hess, « Rome and Jerusalem » in the Zionist Idea edited by Arthur Hertzberg, p. 127.

مع بقية البشر ، ما كان منها الا أن رفعته فوق البشرية ، وجعلته رائــدا وقائدا روحيا للعالم أجمع ولا شك أن هذا أدى بالفعل الى زيادة التوتر بين الانسان اليهودى والعالم وهذا دليل فشل الصهيونية كحركة خلاص علمانية • هذا بالاضافة الى أن مفكرى الصهيونية لم يبنوا فلسفة فكرية ، ولــم يضعوا برنامجا أخلاقيا يمهد الطريق أمام الانسان اليهودى ، لكى يكون ذلك المثال والقدوة الذى أرادت منه أن يكون للعالم ولهذا لم تترك دعوتهـا هذه أثرا حقيقيا على مكانة اليهودى فى العالم •

وهنا يمكننا أيضا أن نضيف أن مفكرى الصهيونية لم يفطنوا الى المشاكل التى نشأت حديثا بسبب فكرة الاختيار ، وذلك يعطى انطباعـا بأنهم بعيدون تماما عن كل المناقشات التى تثيرها الدوائر اليهوديــة بخصوص موضوع الاختيار ومكانته فى عالم اليهودية اليوم • فموضــوع الاختيار أصبح من أشد الموضوعات حساسية خاصة فى الحوار الدائر بين اليهودية وبقية أديان العالم وخاصة المسيحية والاسلام ، وبسبب هــذا المفهوم حرجا لليهود الذين يشتركون فى هذا الحوار بل ولليهود الذين يبحثون عن مكان ملائم للانسان اليهودى فى العالم دون الحديث عن اختياره والذين يسعون الى الحصول على التعايش السلمى القائم على مبدأ المساواة ويعطى المحلل الاجتماعى اليهودى ول هربرج **Wiill Herberg** الأسباب التاليــة لصعوبة الاستمرار فى الاحتفاظ بمفهوم الاختيار فى عالم اليوم :

أولا : من الناحية الفكرية أو الفلسفية هناك اعتراض على أن الالــه الذى يوصف بأنه اله البشرية كلها لا يمكن أن يفضل جماعة من خلقه على بقية الجماعات البشرية فالله اله الجميع ولا يميز بين شعب وآخر كما أن هذا أيضا غير جائز من اله يوصف بالعقلانية ، فالمنطق أيضا لا يجــيز الاختيــار •

ثانيا : على المستوى الأخلاقى يؤدى مفهوم الاختيار الى الشعــور العنصرى الذى يجعل جماعة من البشر تحس أنها مركز العالم وتكــون عقائد مؤداها الافتخار لهذا العنصر وتمجيده وهذه الآراء بدائية ولا يصح أن

توجد فى دين ناضج (١) · لهذه الأسباب اعتبر بعض المتدينين من اليهود ، فكرة الاختيار « فضيحة » ، بل « اساءة » · ويضم هذا الاعتراف بعض المتدينين من اليهود · فهى فكرة لاتتناسب والتفكير الحديث ، ولاتساير بعض النظريات الفكرية والأخلاقية التى طورها الخالم الحديث · والانسان اليهودى يشعر بعدم ارتياح تجاه هذه الفكرة ويميل دائما الى رفضها عندما يواجه بها (٢) وعلى هذا الأساس فالمحاولة الصهيونية وتركيزها على العنصرية اليهودية انما توضح أن التفكير الدينى اليهودى الحديث فى واد والصهيونية فى واد آخر · ومن المفكرين اليهود المعاصرين الذين رفضوا فكرة الاختيار موردخاى كابلان الذى اعتقد أن فكرة اختيار شعب بعينه من بين كل شعوب العالم فكرة غير معقولة وبها تعصب شديد ، ومن الأفضل عنده القول بأن اسرائيل لها رسالة كما أن لكل شعب من الشعوب دورا يؤديه فى تاريخ العالم بحكم تجاريه واستعداده (٣) ·

***

---

(١) Will Herberg, « The Chosenness of Israel and the Jew of Today » in Arguments and Doctrines, ed. by Arthur Cohen p. 280.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٠ ·

(٣) Bernard Bamberger, The Story of Judaism. Schocken Books, N. Y. 1965. p. 444.

الفصل الثانى

عصر التحرر ورد الفعل اليهودى

١ ـ الصهيونية والتحـــرر :

نتيجة لهذا الوضع وجدت الصهيونية نفسها فى موقف لا تحسد عليه ، وقد صورت الصهيونية فى تناقضها هذه الحالة التى كانت عليها الجماعات اليهودية فى أوربا العصور الوسطى • فقد ساد التوتر فى هذه الجماعات بين حياتها اليهودية الداخلية وبين حياة المجتمع الذى تعيش فيه • وعندما ظهر الفكر الصهيونى لم يستطع رواده التخلص تماما من هذا التوتر ، ولهذا نجد هذا التناقض الواضح فى الدعوة الى الحرية والمساواة ، ثم المطالبة بالتقهقر والتمسك بأهداب التراث القديم ، ويعبر هذا التناقض عن الحالة النفسية التى كانت تعيشها الجماعات اليهودية فى أوربا ، والتردد الناجم عن الخوف من الخروج من الحياة اليهودية المغلقة داخل أسوار الجيتو ، وعن الرغبة فى الحياة مع الآخرين ومشاركة المجتمع الأوربى فى قيمه وتقاليده • وعندما جاءت الفرصة للخروج ممثلة فى مبادىء الحـرية والمساواة التى بـدأتها الثـورة الفرنسية ، وامتدت آثارها الى الجماعات اليهودية وسرعان ما انتشرت الى بقية دول أوربا ، عندما جاءت هذه الفرصة لقيت ردود فعل عنيفة ومتضاربة من الجماعات اليهودية ، بين الرافض بشدة والموجب بها الى أبعد الحدود • بالاضافة الى تلك الجماعة التى حاولت أن تمسك العصا من وسطها ، فلا هى أرادت أن ترفض فرصة قد لاتعوضها فيما بعد ، أو أن تتخلى بسرعة عن أعز ما تملك من قيم فتخسر نفسها فى النهاية •

وقد ورثت الصهيونية هذا التضارب فى تفكيرها وفى بنائها الايديولوجى ووقفت حائرة بين اعلان قبول حرية اليهودى فى العالم الحديث ، ومساواته

بغيره ، وبين التصدى لخطر ضياع الشخصية اليهودية بسبب اندماج الحياة اليهودية فى حياة الشعوب الأخرى ٠

لعل هذا هو السبب الرئيسى فى أن عددا من مفكرى الصهيونية كانوا ناقمين على فكرة الحرية التى لوحت بها الثورة الفرنسية فى وجه يهود فرنسا ، ويهود أوربا فيما بعد ٠ ففى رأيهم أن هذه الحرية قد أدت الى قتل الشعور القومى لدى الجماعات اليهودية ، والى زعزعة ثقة اليهودى فى تراثه من ناحية أخرى ٠ وقد عبر المفكر الصهيونى آحادهاعم عن هذا الرأى فى مقال له بعنوان : « عبودية فى حرية » كتبه عام ١٨٩١ م ٠ فهو يصف مشكلة الانسان اليهودى الذى يبدو وكأنه يعيش فى حرية ويتمتع بكامل الحقوق الانسانية ولكنه فقد الشعور بالأمن كيهودى ، كما فقد الاحساس بعلاقته بشعبه وعلى الرغم من حريته الظاهرية الا أنه عبد فكريا وأخلاقيا (١) ٠ ويقول آحادهاعم فى مكان آخر أن الحرية الروحية التى اتمتع بها لا أستبدلها أو أغيرها بكل التحرر فى العالم » (٢) ٠ ويوجه آحادهاعم نقده الى يهود فرنسا والغرب عامة فيقول : « ان العبودية الأخلاقية هى فقط نصف الثمن الذى دفعه اليهودى لتحرره وتحت رداء الحرية السياسية يرقد شكل آخر أقوى للعبودية وهو العبودية الفكرية » (٣) ٠

ولا عجب اذن أن نرى كثيرا من الصهاينة يمتدحون حياة الجيتو بكل مساوئها ، وبما فيها من ذلة ومهانة ، لأنها كانت معبرة عن الحياة القومية ، ففى حياة الجيتو توافرت تقريبا كل مقومات الاحساس القومى والحياة القومية ، فاليهودى داخل الجيتو يتحدث بلغة الجيتو التى لايستخدمها ولا يفهمها غيره من أبناء المجتمع غير اليهود ، كما أنه يحيا على قطعة أرض

---

(١) Selected Essays of Ahad Ha-cam, translated from the Hebrew, edited, and with an introduction by leon Simon, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1962, p. 182.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤ ٠
(٣) المرجع السابق ص ١٨٢ ٠

تحدها أسوار الجيتو • هذا الى جانب أن اليهودى داخل الجيتو له مدارسه الخاصة التى يطبق فيها مناهجه ، وتعاليمه اليهودية البحتة ، وله حياته الاقتصادية والاجتماعية المتكاملة ، ويكلل هذا كله ويرعاه حيـــاة دينيـــة ساعدت على زيادة هذا الاحساس بالانتماء القومى الى جماعة تختلف تماما وبجميع المقاييس عن الجماعة المكونة للمجتمـــع الكبير الذى يكون الجيتو جزءا منـــه •

وعلى هذا الاساس لم تكن حياة الجيتو سيئة تماما فقد ساعدت الانسان اليهودى على الحفاظ على كيانه ويعتقد كثير من المفكرين اليهود أنه لولا الجيتو لضاعت الهوية اليهودية فى المجتمع الأوربى فحياة اليهود معا داخل أســوار الجيتو قوى عندهم « الوعى الجماعى » الذى نتج عنه المحافظة على التــوراة وقوانينها وتنفيذ وصاياها ، كما ضمنت أيضا طاعة اليهودى لرؤسائه ورجال دينه مما ساعد على الحفاظ على اليهودية كدين (١) •

لقد كان الجيتو على حد تعبير البعض دولة داخل دولة ، وقد يحدث أن يعيش أحد أفراد الجماعة اليهودية حياته كلها دون أن تطأ قدماه الأرض الواقعة على حدود الجيتو نتيجة للاكتفاء الذاتى الذى يتمتع به داخل الجيتو •

وبناء على هذا يعلل بعض مفكرى الصهيونية ظهور الحركة بأنه محاولة لاسترداد الحياة اليهودية القومية التى ضيعها الاندماج فى المجتمع الأوربى • فحياة الجيتو فى عصر ما قبل الثورة الفرنسية كانت حياة قومية ، وكان معنى التحرر هو قبول التضحية بهذه الحياة القومية ، وبالتالى ضياع المعالم القومية التى ساعد الجيتو على الحفاظ عليها • فبالنسبة لليهود « كان التحرر يعنى نهاية الحقوق والامتيازات الخاصة بالحكم الذاتى الذى تمتعوا به داخل الجيتو فقد دخل الانسان اليهودى الى حياة المجتمع الغربى ومع مرور الزمن أصبحت السيادة المستقلة داخل الجيتو من قبيل الذكريات » (٢) •

---

(١) د • اسماعيل راجى الفاروقى ، الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ص ٢٧ ، ٢٩ •

(٢) Howard Morley Sachar, The Course of Modern Jewish History, Dell Publishing Co., 1958, p. 70.

والصهيونية فى رأى زعمائها ما هى الا دعوة للعودة الى الحياة اليهودية فى مجتمع يكون طابعه يهوديا ، بهدف انقاذ اليهودى من الاندماج فى المجتمعات الأخرى غير اليهودية • وعلى هذا يمكن القول بأن الصهيونية رد فعل طبيعى لانتهاء حياة الجيتو ، وبداية ضياع الشخصية اليهودية فى العالم • وهى فى هذا لم تستطع تجنب التأكيد على أفضلية الشعب اليهودى التى كانت قد تعرضت للزوال فى حالة الاندماج فى المجتمع الأوربى ، ولهذا نجد أن بعض المفكرين الصهاينة يفهم عصر التحرر ويفسره على أنه اتجاه مضاد لحركة التاريخ اليهودى ، وفترة انفصال عن المجرى العام لهذا التاريخ • فقبل بداية عصر التحرر كان اليهودى يعتبر نفسه عضوا فى جماعة مقدسة ، وأحد أفراد شعب الله المختار ، وانسانا فى حالة انتظار لوصول المسيح المخلص وعضوا فى كهنوت الهى (١) •

كل هذه الخصائص انهارت ، أو قدر لها أن تنهار بمجىء عصر التحرر ، والآن لابد من اعادة تحديد معالم الشخصية اليهودية التى ضاعت ، أو كادت تضيع • وهذا التحديد يأتى فى اطار يناسب حياة ما قبل التحرر ، وفى نفس الوقت يحاول الاستفادة من المزايا التى منحها عصر التحرر لليهود • فاذا كان الانسان اليهودى قد أتيحت له الفرصة لأن يصبح متحضرا ، وانسانا حرا ، ومتقدما فى أفكاره ، فلا مانع من أن يحتفظ بهذه المزايا الجديدة ، ولكن فى اطار لايتعارض مع تراثه وشعوره بيهوديته • وهذا يعنى ضرورة الربط بين المدنية الحديثة وماضى التاريخ اليهودى ، حتى لايخسر الانسان اليهودى أحدهما ، أو كليهما • والصهيونية عند دعاتها هى وسيلة الربط بين الاثنين، أو بمعنى آخر هى حلقة الوصل بينهما •

وتظهر أهم المشاكل المترتبة على تحرر اليهود (٢) ، ومساواتهم بالمواطنين الأصليين للبلاد الأوربية التى يعيشون فيها ، فى ازدواج الولاء والانفصام المترتب عليه فى شخصية الانسان اليهودى على المستوى الفردى ، وفى شعور

---

(١) The Zionist Idea, p.

(٢) انظر فى هذا : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٤١ ـ ٤٣ •

الجماعة اليهودية ككل (١) • ففى أعقاب الثورة الفرنسية ، وقبول مبدأى الحرية والمساواة ، أصبح القانون المدنى الفرنسى ساريا على الافراد اليهود كمواطنين يتمتعون بكل حقوق المواطنة وكان هذا يعنى الاستجابة التامة لكل مطالب الدولة ، حتى لو تعارض هذا مع تعاليم التراث اليهودى • وهنا أصبح اليهودى مطالبا بتنفيذ أوامر الدولة ، والمحافظة فى نفس الوقت على تعاليم ديانته ، وأصبح ولاؤه موزعا بين مطالب الدولة وأوامر الدين ، وهو أمر لم يعهده من قبل بحكم حياته المغلقة داخل الجيتو ، حيث كان من السهل على اليهودى قبل التحرر « أن يعيش كيهودى وأن يقيم التوراة والتلمود فى حياته وفكره •• أما الآن وقد تحرر ، وأصبح لايهوديا فحسب مقيما كأجنبى فى بلد غريب ، بل يهودى المانى ويهودى فرنسى ويهودى هولندى ، تعثر الطريق أمامه وشق • فما معنى أن يكون يهوديا يدين للقانون من جهة والمانيا أو فرنسيا يدين بالولاء لوطن وحكومة ودولة وثقافة وحضارة مغايرة لما عرفه فى توراته وتلموده ؟ ولم

---

(١) كان واضحا منذ البداية أن هدف القائمين على الثورة الفرنسية فيما يتعلق بالموقف اليهودى هو معاملة الانسان اليهودى كفرد ينتمى الى الأمة الفرنسية لا الى جماعته اليهودية • ويتضح هذا الهدف فى رغبة المجلس الفرنسى فى منح اليهود الحقوق المدنية الكاملة والاعتراف بهم كأفراد وأحرار مستقلين ومرتبطين بالدولة ارتباطا مباشرا وليس على أساس أنهم مجموعة بشرية لاتكون جزءا من الكيان السياسى للدولة • وعلى هذا الأساس أصبح كل يهودى فرنسيا بناء على مقوماته كفرد • ويتضح هذا الهدف وضوحا لاشك فيه فى كلمات الكونت كليومونت ترنيرى Clermont Tonnerre Count فى المجلس القومى الفرنسى آنذاك حيث قال : « لليهودى كفرد ـ كل شىء : لليهود كأمة ـ لا شىء :

انظر : Modern Jewish Religious Movements, p. 81

انظر أيضا : Arthur Hertzberg, The French Enlightenment and the Jews, The Origins of Modern Anti-Semitism, Schocken Books, N.Y., 1970.

تخل حياة اليهودى فى أوربا من مشاكل الزمته طرح هذا السؤال على نفسه فى كل صباح » (١) ٠

٢ ـ الموقف اليهودى الأرثوذكسى من التحرر :

وكانت استجابة الكثيرين من اليهود لهذا التطور الجديد فى حياتهم تتأرجح بين القبول والرفض ، وقد جاءت الاستجابة الرسمية لهذا الوضع

---

(١) الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٤١ ومن المشاكل الأخرى التى تسبب فيها التحرر مشكلة العلمانية ٠ فقد كان تحرير اليهود « نتيجة لنمو العلمانية فى التنظيم السياسى والاجتماعى ٠ اذ أن اقصاء الدين عن السياسة والاجتماع والاقتصاد أدى الى اعتبار المنفعة العامة والانتاج والخبرة والأهلية كأسس لجميع المعاملات والتنظيمات ٠ ومن هنا جاء قبول اليهود على أساس كفاءتهم الشخصية ، وتماسك أفراد الأمة الواحدة ، بما فيهم اليهود ، لا على أساس الدين ، بل على أساس وجودهم فى الوطن ، وعمومية المنطقة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بينهم فالجغرافيا والاقتصاد حلا محل الدين فى تكوين الدولة » ٠ ومن أضرار سيطرة العلمانية فى أوربا على الوضع ايهودى أن فكرة العلمانية فكرة نابعة من التجربة المسيحية لا اليهودية وفى هذا تأثير مسيحى واضح على اليهودية ٠ وأقل مظاهر هذا التأثير أن يصبح اليهودى بعد التحرر عضوا فى امة قومية علمانية لامكان فيها للدين اليهودى ولا فاعلية لقوانينه « فقد أذاب التحرير الأمة اليهودية كأمة وأذابت العلمانية الجديدة علاقة الدين بالحياة » ٠

انظر تفاصيل مشكلة العلمانية فى الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٤١ ـ ٤٣ ومما لاشك فيه أن مندلسون يعتبر مسؤولا عن هذا التطور الجديد فى حياة الشعب اليهودى فقد كافح من أجل مايسمى بـ « التنوير العلمانى للشعب اليهودى » ، وأعتقد أن اليهود يمكنهم أن يثبتوا قدرتهم ومكانتهم فيفسح لهم العالم المسيحى مكانا فى المجتمع ويمنحهم المساواة فى الحقوق المدنية انظر :

Modern Jewish Religious Movements, p. 74-76.

الجديد فى صورة مرسوم أصدره المجلس اليهودى الذى دعاه نابليون بونابرت للانعقاد فى باريس عام ١٨١٢ م • وقد قرر المجلس قبول التنازل عن الأفكار ، والمعتقدات السياسية التى نشأت عن الديانة اليهودية ، والتى كانت سارية المفعول فى التاريخ الاسرائيلى القديم ، والتى وضعت أساسا لتناسب المجتمع اليهودى فى فلسطين قديما ، عندما كانت اسرائيل مملكة لها ملوكها وكهنتها وقضاتها • وقد بعث المجتمعون بالرسالة التالية ردا على مطالب نابليون وعلى أسئلته التى وجهها للمجلس اليهودى : « يعلن المجلس باسم كل الفرنسيين المعتقدين فى دين موسى ، وهم يشعـــرون بأعمق أحاسيس العرفان والحب والاحترام والاعجاب بشخصه المقدس صاحب الجلالة الامبراطورية الملكية ، يعلن أنهم جميعا مصممون على اثبات أنهم جديرون بهذه النعم التى يقصدهم بها جلالته وذلك عن طريق الاذعان المدقق لمقاصده الأبوية وعن طريق اثبات أن دينهم سيجعل واجبا عليهم أن يحترموا قانون الملك على أنه القانون الأعلى فى المسائل المدنية والسياسية ، وأنه بالتالى ، اذا كان قانونهم الدينى ، أو تفاسيره المختلفة ، يشتمل على وصايا مدنية أو سياسية مغايرة أو مخالفـة للقانون الفرنسى ، أن تتوقف هذه الوصايا ، بالطبع ، من التأثير فهم وحكمهم، بما أنه يجب عليهم ، قبل كل شىء ، الاعتراف بالملك وطاعة قوانينه ، وأنه بالتالى وترتيبا على هذا المبدأ ، اعتبر اليهود ، فى كل الأزمنة ، أنه من واجبهم طاعة قوانين الدولة ، وأنهم منذ الثورة ، ككل الفرنسيين لم يعترفوا بأية قوانين أخرى » (١) وكان هذا يعنى اعلانا بالتنـــازل عن كل الافكار التقليدية التى جمعت اليهود كمجموعة متميزة من البشر ، أو كأمة تعيش مستقلة داخل الأمة الفرنسية ، وكان نابليون ينتظر ردا حاسما فيما يختص بموضوع القومية ، وقد أراد أيضا أن يكون الرد مصوغا فى شكل دينى لايسمح لليهود بالتردد والتراجع بعد ذلك فى اعتبار التشريعات المدنية والقضـــائية اليهودية أمرا من أمور الماضى واعتبار الأمة اليهودية كأمة مستقلة أمرا لاوجود له • وقد عبر أحد أعضاء السانهدرين عن هذا بقوله : « نحن لم نعد نكون أمه

---

(١) Modern Jewish History ed. by Robert Chazan and Marc Lee Raphael, Schocken Books, N.Y., 1974, p. 18-19.

داخل الأمة ٠٠ فرنسا بلدنا ٠ أيها اليهود هذا هو موقفكم اليوم : لقد تحددت التزاماتكم والسعادة فى انتظاركم » (١) ٠

قرر المجلس التنازل عن كل هذا التراث التاريخى السياسى ، واعلان الولاء السياسى الكامل للدولة الفرنسية وقوانينها ٠ ومن ناحية أخرى لم يتنازل المجلس عن شيء يتعلق بالأمور الدينية التى اعتبرها المجلس أمورا مطلقة وأزلية ، لاتخضع للتعديل والتغيير ٠ ومن هذه الأمور فكرة الاختيار ، وفكرة المسيح المخلص ٠ فقد أكد المجلس على أن هاتين الفكرتين هما من صميم التراث الدينى اليهودى ، وليس فى الامكان التخلى عنهما بأى حال من الأحوال ٠

واذا كان هذا هو الرأى العام لجماعة يهود فرنسا الذين مثلهم المجلس اليهودى أمام نابليون (٢) ، الا أن فكرة المساواة والحرية قد أثارت اضطرابا

---

(١) The Course of Modern Jewish History, p. 63.

(٢) لقد تلقى يهود فرنسا أخبار الحريات المدنية الممنوحة لهم بترحيب شديد يظهر فى الكلمة التى ألقاها بيرا اسحاق بير Berr Isaac Berr الذى مثل يهود الألزاس Alzsace أمام المجلس القومى الفرنسى حيث قال : « لقد عادت الينا الحقوق التى سلبت منا منذ ألف وثمانمائة عام ٠٠٠ فبنعمة الله وبفعل الشعب الفرنسى أصبحنا اليوم ليس فقط بنى آدميين ، وليس فقط مواطنين ولكنا أصبحنا أيضا فرنسيين ٠٠٠ ففى السابع والعشرين من سبتمبر كنا الوحيدين فى هذه المملكة العظيمة الذين، كما يبدو ، كتب عليهم أن يبقوا الى الأبد فى قيود العبودية ٠ ولكن فى اليوم التالى (٢٨ سبتمبر ١٧٩١) ، فى ذلك اليوم العظيم الذى سنحتفل به دائما ، وضعتم فى قلوب مشرعى فرنسا الأميرة بين الأمم ، ان تردوا لنا حقوقنا وتساعدونا فى تحديد حياتنا ٠٠ » وقد انتشرت بين يهود فرنسا موجة من روح الوطنية عبر عنها أحد اليهود المعاصرين صموئيل ليفى Samuel Levy فى احدى الصحف الباريسية بقوله : « فرنسا ، التى محت عنا عار يهوذا ، هى أرض اسرائيل بالنسبة لنا ، تلالها صهيوننا ، وانهارها أردننا ٠ فلنشرب من مياهها الحية ، مياه الحرية فالشعب الذى استبعد أكثر من أى شعب آخر سيصلى من أجل الشعب الذى كسر قيود عبوديته سيصلى لفرنسا ملاذ المقهور » ٠
Modern Jewish Religious Movements, p. 62.

كثيرا بين الجماعات اليهودية ، وظهر هذا الاضطراب فى ردود فعل الطوائف اليهودية المختلفة التى وجدت نفسها مطالبة باتخاذ قرار سريع فى شأن الحرية الممنوحة لليهود ، والصراع الناجم عن التعارض بين الواجب المدنى المترتب على الخضوع لأوامر الدولة ، وبين الواجب الدينى والولاء للتراث اليهودى .

فالطائفة الارثوذكسية التى يمثلها غالبية حاخامات المجلس اليهودى المعروف باسم « السانهدرين » فسرت هذه التطورات الجديدة فى حياة الشعب اليهودى تفسيرا يحاول الاستفادة من قرارى المساواة والحرية ، فى الوقت الذى لاتتخلى فيه الجماعة اليهودية عن مفهوم واحد ، أو فكرة عقائدية واحدة من التراث الدينى اليهودى . ولهذا كان القرار الذى اتخذته الجماعة اليهودية الارثوذكسية هو الجمع بين الممارسة الدقيقة لقوانين التوراة وشرائعها ، والمحافظة على تعاليم الأنبياء ، وبخاصة فيما يتعلق بفكرة « نهاية الأيام » ، والمسيح المخلص ، وبين الاندماج الظاهرى فى الحياة الفرنسية ، والأخذ الحذر بأساليب الحضارة العلمانية المحيطة بالحياة اليهودية (١) . وقد عبر هيرش (١٨٠٨ ـ ١٨٨٨) زعيم الطائفة الارثوذكسية الجديدة باعتقاده أن اليهود قبل ظهور المسيح المخلص لايمثلون شعبا بل جماعة مؤمنة تقوم بأداء فروض ووصايا الشريعة اليهودية المكتوب منها ، وغير المكتوب . وأن التوراة لاتخضع لاحكام الزمان والمكان ، فهى فوق كل هذه الاعتبارات الزائلة ، ولهذا لا يمكن السماح بترك أى تقليد دينى مهما صغر شأنه طالما أن التوراة قد دعت اليه . وهو هنا يوجه نقده لجماعة « اليهود الاصلاحيون » الذين أفسدوا الديانة اليهودية فى رأيه ، واخرجوها عن مضامينها ، وغيروا فى معانيها (٢) . ولهذا يدعو هيرش اليهود الى الارتفاع الى مستوى التوراة بدلا من انزال التوراة الى مستواهم ، وأكد أن الولاء للتوراة لايمنع الانسان اليهودى من الارتباط بالجماعات القومية أو السياسية ، بل دعى أيضا الى الجمع بين أساليب

---

(١) The zionist Idea, p. 23.

(٢) Modern Jewish Religious Movements, p. 226.

انظر الفصل الخاص بالملة الارثوذكسية فى الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٦٥ ـ ٨٧ .

الحضارة الأوربية ، والولاء غير المشروط للتراث اليهودى بكل تفاصيله ٠ وقد رأى هيرش فى التحرر فرصة عظيمة لتطوير ما يسميه باليهودى المثالى الذى يمارس عقيدته فى حرية تامة ويقوم بأداء التزاماته كيهودى والتحرر ، يقول هيرش : « ليس الهدف الأول للانسان اليهودى ولا نهاية لمنفاه ٠٠ بل يجب أن ينظر اليه كوضع جديد لرسالة الشعب اليهودى ، كاختبار جديد أقسى من اختبار الاضطهاد » (١) ٠ وخطورة التحرير تنطوى فى أن اليهودى ربمـا يستسلم لاغواء الرفاهية والكسب ويتراخى فى اتباعه لمبادىء دينه ، ولذلك من الواجب على اليهودى أن يقبل تعاليم اليهودية كلها ويمارسها فى اطار من الحداثة (٢) ٠ ولم ير هيرش أبدا أن الحداثة خطر على اليهودية ولذلك نجده يؤيد التحرير فى شجاعة ويصارع من أجل تحسين التعليم الدينى ، ويؤيد استخدام اللغة لالمانية ويؤيد كذلك اكتساب الانسان اليهودى للثقافة العامة ، فهو يرى أن كل هذه المظاهر الحديثة مظاهر خارجية لا تؤثر على جوهر اليهوديـــة (٣) ٠

٣ ـ موقف اليهود الاصلاحيين من التحرر :

أما زعماء حركة الاصلاح اليهودية فقد رفضوا آراء زعماء الطائفـــة الارثوذكسية الجديدة زاعمين أنه سيكون من الصعب على الانسان اليهودى أن يجمع بين الطاعة المطلقة لوصايا الدين اليهودى ، والقيام بأداء الواجبات المدنية المترتبة على مساواة اليهودى فى الحرية الفردية مع غيره من مواطنى الدولة ٠ وقد اعتقد الاصلاحيون أنه يجب ادخال بعض التعديلات على محتوى التراث اليهودى ، والعادات اليهودى حتى يتسنى لليهود مواجهة العصـــر الحديث بمطالبه ٠

---

(١) Modern Jewish Religious Movements p. 235.

(٢) Ibid, p. 249.

(٣) Arthur Cohen, The Natural and the Supernatural Jew, an Historical and Theological Introduction, Mc Graw-Hill, N.Y. 1964, p. 52.

وكان هذا الاعتقاد فى بادىء الأمر ردا من جانب هذه الجماعة على قرار نابليون ، بمنح الحرية لليهود ، ومعاملتهم كمواطنين • ومع أن الاصلاحيين بنوا فكرهم على دوافع بدأت فى فرنسا الا أن حركتهم بدأت فى المانيا ، بتكوين معابد يهودية صغيرة ، مارسوا فيها عقيدتهم اليهودية بعد أن أدخلوا العديد من التعديلات على الطقوس اليهودية • ومن أشهر زعماء هذه الحركة فى المانيا « اسرائيل جاكبسون » (١) و « صموئيل هولد هايم » (٢) و « ابراهيم

---

(١) يعتبر جاكسبون (١٧٦٨ ـ ١٨٢٨) مؤسس اليهودية الاصلاحية وقد أدخل اصلاحات طقسية فى المدرسة التى أسسها عام ١٨٠١ م • وقد اشتمل برنامجه الدينى على صلوات وترانيم وخطب بالالمانية وقد ذاع أمر هذه التجديدات فأسس معبدا ووضع فيه الأرغن وطبق فيه نظاما حديثا كاملا للخدمة الدينية والعبادة وطبع كتابا جديدا للصلوات ودعى الى خلاص عام للانسانية بدلا من الخلاص الاسرائيلى ، وأبدل الصلاة التقليدية الخاصة بقدوم المسيح المخلص بصلاة خاصة بعصر العدالة والأخوة •

انظر : Modern Jewish History, p. 46.

(٢) صموئيل هولدهايم (١٨٠٦ ـ ١٨٦٠) أحد زعماء الاصلاح وقد قام بادخال بعض التعديلات فى خدمة السناجوج والعبادة كما أدخل تغييرا على وظيفة الربى فجعلها وظيفة لاتهتم فقط بالأمور الطقسية أو التشريعية ولكن تهتم أيضا بأمور الجماعة كما هو الحال بالنسبة لرجل الدين المسيحى • وقد تأثر بآراء هيجل واعتبر الاصلاح وسيلة للتحسين والتقدم ، وان التاريخ فى تقدم مستمر وكان هذا يعنى عدم الاستمرار الدينى بين القديم والحديث ، وان التراث القديم لايهتم بالعصر أو بالحاجة الى التكيف والتغير مع الأوضاع الجديدة •

وأصر هولدهايم أن اليهودية يجب أن تستسلم لمتغيرات الزمن • ولهذا أراد أن يفصل العناصر الدينية الأخلاقية الانسانية فى الديانة اليهودية من العناصر القومية بما أن هذه الأخيرة قد فقدت قيمتها بعد دمار الدولة اليهودية • ولأن اليهود ليست لهم دولة ويجب أن تتغير عاداتهم وتقاليدهم وفقا لمتطلبات الدول التى يعيشون فيها • فالاحتفال بالسبت مثلا أصبح بالضرورة لا يجب عقده فى يوم السبت كما كان =

جيجر » (١) ــ وجميعهم تتبنى تغييرات جذرية فى فهمهم لليهودية ٠

= الحال فى فلسطين ، ولكن فى يوم الأحد حسب الظروف السائدة فى المجتمع الأوربى ٠ كما أراد النحص من بعضهم طقوس هذا الاحتفال وعدم تطبيق تحريم العمل على كل اليهود ، والسماح لبعض الفئات بالعمل فى هذا اليوم ٠ كما أراد تطبيق القانون المدنى على الزواج ، والسماح بالزواج المختلط وعدم التمسك بالختان واعتبار المولد هو الذى يحدد يهودية المولود لا الختان ، ولم يبق من أيام الصوم فى اليهودية الا على صيام يوم الغفران وبالنسبة للصلاة ادخل نظام الكورس المختلط فى السناجوج، والغى النفخ فى البوق فى رأس السنة اذ لاقيمة له فى العصر الحديث ٠ وبهذه التغييرات كان سناجوج هولدهايم فى برلين أكثر المعابد اليهودية فى أوربا مسايرة للعصر الحديث وقد اعتبرت تعديلاته أساسا ومثالا للاصلاح فى أمريكا ٠

انظر : Modern Jewish Religious Movements pp. 179-183.

(١) ابراهام جيجر (١٨١٠ ــ ١٨٧٤) من أكبر زعماء حركة الاصلاح وقد أيد تطوير التراث الدينى اليهودى ليناسب متغيرات العصر والسمة الأساسية لليهودية عنده هى أنها ليست نظاما محدودا من القوانين الواجب تطبيقها فى حياة الفرد ، ولكنها يجب أن تسمو لتصبح نظاما اخلاقيا عالميا فى اتجاهه وتطبيقه ٠ وهذا نفسه يعتبر عند جيجر هدف الاصلاح الذى لابد وأن يحرر الحياة اليهودية من قيود التشريعات التى لاتلائم العصر ، وعلى حركة الاصلاح أن تنشر المثل العليا للعصريين اليهود مع تعديلها لتناسب التراث ولأن اليهودية ديانة متغيرة وقابلة للتطور فهى تستطيع تطوير مثل جديدة للانسان اليهودى كبديل لهذا النظام من الوصايا والقوانين الذى لايبدو كافيا لحل التناقض القائم بين ميوله الحديثة ومتطلبات دينه ٠ وقد كان هذا تبريرا كافيا لجيجر وغيره من زعماء الاصلاح للتغييرات التى احدثوها فى الديانة اليهودية ٠ وقد وضع جيجر كتابا للصلاة حذفت منه الاشارات الى الأمثل المسيحانى واسترداد صهيون ، واستبدلهما بصلاة لخلاص البشرية ككل ، كما حاول التخلص من كل العناصر التى تجعل من اليهودية دينا خاصا ، كالعنصر القومى مثلا ٠

انظر : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٥٢ ــ ٥٥ ٠

وانظر : Modern Jewish Religious Movements. p. 173-179.

وقد انشقوا عن التلمود فى كثير من تعاليمة ، ومحظوراته ـ وقد ذاعت آراء أصحاب الحركة الاصلاحية ، وانتقلت آراؤهم الى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث نشأت العديد من المؤسسات والمجالس التى تبنت نشر أفكار الاصلاحيين ، وقد زاولت هذه المؤسسات نشاطها فى أواخر القرن التاسع عشر ومن أشهر هذه المؤسسات « كلية الاتحاد العبرانى » الذى انشىء عام ١٨٧٥ و « المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكيين » الذى نشأ عام ١٨٨٩ ، وقد سبقهما من حيث النشأة « اتحاد المذاهب العبرانية الأمريكية » الذى أنشأه « اسحاق مئير ويز » عام ١٨٧٣ م ٠

ومجمل اعتقاد الاصلاحيين اليهود الأمريكيين يدور حول المبدأ القائل بأن تاريخ اليهود يشهد بأن هذه الديانة قد عدلت من نفسها باستمرار وتكيفت مع البيئة التى وجدت فيها ، حتى تستطيع التأثير على هذه البيئة فيما بعد ٠ وأن على اليهودية المعاصرة أن تفعل نفس الشىء ، لكى تواجه الموقف المتجدد لحياة اليهود فى كل المجتمعات ٠

والذى يهمنا فى عقيدة الاصلاحيين أنهم أعادوا تفسير فكرة المسيح المخلص لتناسب البيئة اليهودية ، وأحوالهم المعاصرة ٠ وفى هذا الشأن رفض الاصلاحيون الاعتقاد اليهودى الخاص بأن المسيح المخلص سيحدد المصير اليهودى فى نهاية الأيام ، فيجمع الشمل اليهودى فى الأرض المقدسة ، وتعود المؤسسة الدينية اللاوية لمباشرة نشاطها الدينى من جديد (١) ٠ ولم يتوقف الاصلاحيون عند مجرد هجر هذا الاعتقاد ، ولكنهم رفضوا رفضا تاما فكرة المسيح المخلص ، وكل ما يتعلق بها من مظاهر دينية وطقوس ، وأبدلوا هذه لفكرة بفكرة أخرى ، هى الاعتقاد فى عصر خلاصى عام ، دون حاجة الى شخصية المسيح المخلص ٠ ولهذا السبب رفض الاصلاحيون فكرة الصهيونية رفضا تاما لأنها بنت أيديولوجيتها ، كما هو معروف على فكرة الخلاص ، واعتبرت نفسها المسيح المخلص للشعب اليهودى ٠

وبالاضافة الى هذا استجاب الاصلاحيون لدعوة التحرر بأن حاولوا ازالة الحواجز التى وضعها التراث اليهودى للتفرقة بين اليهودى وغير

---

(١) The Zionist Idea, p. 23.

اليهودى ، فطوروا الاعتقاد فى أن لليهود رسالة للانسانية عامة ، وأن اليهود واجبهم بعث الحياة الروحية لدى شعوب العالم • واذا كان الأمر كـذلك ، لا يجب على اليهودى اذن أن يعيش فى معزل عن بقية البشـــر ، بل يجب عليه الاختلاط بهم ، حتى يتمكن من انجاز رسالته (١) •

---

(١) لقد جعل ابراهام جيجر هذا الهدف احد المبادىء التى اشتملت عليهـــا خطته لوضع كتاب جديد للصلاة • حيث نص على ذلك بقوله : « فيما يختص بمكانة اسرائيل فى تاريخ العالم فهذا يجب وضعه عـــلى النحو التالى : اليهودية دين الحق والنور وقد تلقت اسرائيل هـــذه المهمة واستمرت تحمل هذا المبدأ وتدافع عنه ويرتبط بذا الثقة فى أن هذا الاعتقاد سيصبح تدريجيا من الممتلكات العامة لكل العالم المثقف • ولهذا سيجعل من اسرائيل العالم كله • ولهذا فأشكال التعبير التى تميل الى تضييق أو عدم توضيح هذا التفكير اللسامى ليست مناسبة • وبالتالى يجب أن يتقهقر الى الخلف ذلك الجانب القومى لاسرائيل :

(أ) الانفصال بين اسرائيل وبقية الشعوب ، الذى كان موجودا فى وقت ما ، لا يجب أن يعبر عنه فى الصلاة بل يجب أن يكون هناك تعبيـــر عن السرور بسقوط هذه الحواجز •

(ب) يجب أن يتجنب هذا الشعور الروحى النبيل أى مظهر بالتعالى ويجب أن يستبعد أية تلميحات جانبية للشعوب الأخرى •

(جـ) النظرة الى المستقبل يجب أن تثير الأمل السعيد فى توحيد البشرية جمعاء فى الحقيقة والعدالة والسلام • ومع ذلك فسينتهى من وجداننـــا الاعتقاد فى استرداد الدولة اليهودية فى فلسطين ، وبالتالى ينتهـــى الاعتقاد فى بناء الهيكل فى أورشليم لكى يكون نقطة توحيد اسرائيل ، ونفس الشىء ينطبق على جمع الشتات وأى شىء يتصل باستعـــادة ظروف ماضية والتعبير عن هذا الأمل فى الصلاة فالدعاء من أجل تحقيقها يعتبر زيفا واضحا •

انظـــر : Modern Jewish History p. 59-60.

وانظر أيضا : Robert Gordis, Judaism in a Christian World, Mc Graw-Hill Book. Co. N.Y., 1966, p. 19.

وعلى هذا الأساس قرر الاصلاحيون التخلص من كل العادات التى وضعت لعزل اليهودى عن جاره غير اليهودى ، وعرفت الديانة اليهودية بأنها ديانة أخلاقية تقوم على التراث الأخلاقى الذى دعت له التوراة ٠ وهذا التراث الأخلاقى لابد من نشره فى العالم بأسره وهذا ما اسمته الحركة الاصلاحية « رسالة اسرائيل » ، وهى تتلخص فى أن العناية الالهية قد تسببت فى تشتيت اليهود فى بلدان العالم لكى يقوموا بدور المعلم والدليل والقائد الروحى لشعوب العالم ، لتحقيق مبادىء العدالة والتقوى الموحى بها فى التوراة ٠ (١) ولهذا أيضا رفضوا فكرة العودة الى صهيون ، وعدلوا مفهوم الخلاص التقليدى الى رؤية عصر جديد تسوده الحرية الفردية ، والعدالة والسلام العالمى ، أى تحويل الخلاص من خلاص يختص باليهود الى خلاص عالمى ٠

٤ ـ التحرر بين الأرثوذكس والاصلاحيين :

ويتضح من هذا التعارض الواضح بين آراء الاصلاحيين فى القرن التاسع عشر وآراء الأرثوذكس من اليهود حول بعض العقائد اليهودية الهامة ، ولا شك أن الاصلاحيين تأثروا أكثر من غيرهم من اليهود بالأفكار التقدمية التى سادت النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وان احتفظوا للشعب اليهودى بالاختيار الالهى له ليكون الزعيم الروحى للعالم بحكم حوزته على التوراة وقيمها الأخلاقية ٠

وقد تعرضت آراء الحركة الاصلاحية للنقد الصريح من بقية الجماعات اليهودية ، وبخاصة من الطائفة الأرثوذكسية ، ودخلت الجماعتان الاصلاحية والأرثوذكسية فى صراع حول كيفية مواجهة الانسان اليهودى لمشكلة الحياة فى العالم الحديث دون أن يضحى بتقاليده الدينية ٠ وقد حاول بعض المفكرين حل هذه المشكلة بالاعتقاد فى أن موضوع القومية اليهودية ليس موضوعا سياسيا ، لأنه يمس حياة اليهود الروحية وأنه من الممكن التنازل عن بعض طرق الحياة القديمة التى سلكها اليهود طالما أن هذا لا يؤثر على الروح القومية الثابتة ، التى لا يجب أن تؤثر فيها الأوضاع السياسية التى تتغير من عصر الى آخر ٠

---

(١) The Zionist Idea, p. 23.

وكان هدف البعض الآخر ابعاد مشكلة الحياة اليهودية فى العالم الحديث عن دائرة الصراع اللاهوتى باعتبار أن المشكلة ليست مشكلة دينية ، كما حاول البعض تصويرها • بل هى ضرورة من ضرورات الحياة المتغيرة التى يجب على الانسان اليهودى أن يسايرها كما يفعل الآخرون ، ويتعامل مع التشريع الجديد الخاص بالمساواة ، ونتيجته الحتمية التى تؤدى الى دخول اليهودى فى حياة المجتمع الغربى واشتراكه فيها •

ومن الشخصيات اليهودية التى اتخذت موقفا وسطا بين الأرثوذكس والاصلاحيين الحاخام والعالم اليهودى « زكريا فرانكل » (١٨٠١ ـ ١٨٧٥) الذى حاول الجمع بين التراث اليهودى ، والتنوير الأوربى • ولهذا نجده مثلا يعارض الاصلاحيين فى بعض التعديلات التى ادخلوها على التراث اليهودى مثل استخدام اللغة المحلية فى الصلاة اليهودية ، وهجر فكرة العودة الى صهيون (١) ، هذا فى الوقت الذى يحاول فيه ادخال بعض الاصلاحات المختصة بالصلاة ، والتى لا تتضمن أى انحراف عن روح الديانة اليهودية وتطورها التاريخى •

وقد توسط فرانكل فى الجدال الذى نشأ بين جماعة ، ابراهام جيجر » الاصلاحية وجماعة « هيرش » الأرثوذكسية ، وقد فشل فى مهمة التوفيق بين الفريقين ، واشترك فرانكل أيضا فى مجلس الحاخامات الاصلاحيين فى عام ١٨٤٥م ولكنه انسحب من هذا المجلس عندما قررت غالبية المجلس بأن كتاب الصلاة العبرى لا يجب أن يفرض بصفة اجبارية على الجماعة اليهودية • وتوضح هذه المواقف حيرة فرانكل بين الأرثوذكس والاصلاحيين • فالاصلاحيون اهتموا بالحاضر فى الحياة اليهودية وكانوا على استعداد للتخلى عن الماضى وهجره من أجل التوفيق بين اليهودية والعصر الحديث • بينما اهتم فرانكل والمدرسة التاريخية عامة بالماضى كما فعل الأرثوذكس مركزا على دور التوراة والتلمود والكتابات الربانية كحلقات حية فى نمو اليهودية • أما التقليديون فقد اعتبروا الماضى عاملا حاسما واعتبروا عادات الماضى تقاليده ثابتة لا يمكن تغييرها بينما رأى فرانكل أنها مرنة وقابلة

---

(١) Modern Jewish Religious Movements, pp. 202, 203.

للتعديل . أما اليهودية فى نظر فرانكل فهى تمتاز بديناميكية الحركة وأنها قوة تاريخية فعالة يمكن تطويعها الى حد ما لتناسب العصر الحديث وأن كان هذا التطويع لابد وأن ينبع من داخل التراث وقد طبق فرانكل هذا المبدأ فى نظرته لمشكلة تغيير الطقوس اليهودية وفقا لمتطلبات العصر (١) وقد اتفق فرانكل مع الاصلاحيين فى اعتقادهم فى وجود التغيير فى اليهودية فى الماضى وفى الحاجة الى التغيير فى الحاضر (٢) .

وشارك فى هذا الحوار الدائر بين الطوائف اليهودية « يهوذا جوردون » (١٨٣٠ ـ ١٨٩٢) أكبر رواد حركة الهسكالا فى روسيا ، والذى هاجم سيطرة الدين على الحياة اليهودية ، والذى عبر عن رأيه فى هذا الصراع بعبارته المشهورة (كن يهوديا فى بيتك وانسانا خارجه) (٣) ـ وهى دعوة صريحة للانسان اليهودى بأن يمارس تقاليده اليهودية فى منزله ، وأن يشارك فى حياة المجتمع كمواطن عادى . وحديثا انتقد هرتسبرج رأى جوردون بقوله أن « الخارج » الذى يتحدث عنه جوردون يمثل معظم الحياة بالنسبة لليهود ، ولذلك فهو يؤثر على جماهير اليهود تأثيرا كبيرا ، ولا تكفى مقاومته باتباع التقاليد اليهودية داخل المنزل (٤) .

٥ ـ ملاحظات عامة :

والنتيجة التى نخرج بها من هذا الصراع بين الطوائف اليهودية المختلفة هى أننا نجد :

---

(١) Modern Jewish Religious Movements, p. 202-203.
وانظر أيضا : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ٩٣ ـ ٩٥ .

(٢) Judaism in a Christian World, p. 25.
وانظر أيضا : The Course of Modern Jewish History, p. 127.
وكذلك : The Story of Judaism, p. 294-296.

(٣) The Zionist Idea, p. 26.

(٤) Ibid, p. 26.

أولا : أن كل النظريات التى طورتها هذه الطوائف لمجابهة العصر الحديث والمدنية ، هى فى حقيقة الأمر نظريات دفاعية فى مضمونها ، حتى هذه النظريات التى وضعها أكثر اليهود اتجاها الى الاصلاح ، وميلا الى التخلى عن كل ما يعوق تطور الحياة اليهودية ، حتى وان كان التراث اليهودى نفسه ، والدليل على هذا أن هذا الصراع لم يؤد الى وقوع فرقة بين الطوائف اليهودية أو انشقاق بينها ، انما كان الجميع يحاول من جانبه التصدى للتحدى الذى وضعته المدنية أمام المجتمع اليهودى فى أوربا الغربية والشرقية ، واختلف الدفاع عن الحياة اليهودية باختلاف المدافعين عنها ، وتباين بيئاتهم ونشأتهم واتجاههم الدينى ٠

ثانيا : يتضح أن الاتجاه التقدمى المرتبط بأفكار الحرية والمساواة قد جذب اليه الكثيرين من المثقفين اليهود الذين لم يدخلوا فى محاولات الدفاع السابقة ، بل قبلوا هذه الافكار دون مساومة ، واتخذوا من أفكار الحرية والقومية والاشتراكية فيما بعد مثالا لهم ، فقد رأوا أنها تمهد الطريق الى عالم علمانى جديد سيؤدى حتما الى القضاء على بقايا حياة العصور الوسطى والتعصب الدينى الذى سيطر عليها ٠

ثالثا : أن هذه المجموعة المثقفة طغت على اتجاهها أفكار خلاصية ، ولكنها تختلف عن الخلاص الدينى لدى المتدينين من اليهود ٠ فرغبة هؤلاء المثقفين من اليهود فى التخلص من كل المعوقات التى تمنع اشتراكهم فى العالم الجديد الذى تسوده العدالة والمساواة ما هى الا نظرة جديدة الى طبيعة الخلاص ، وحل المشكلة اليهودية عن طريق تبنى قيم الأغلبية التى يعيشون بينها ، والاندماج التام فيها ٠

رابعا : أن فى هذا الاتجاه محاولة لتجاهل فكرة الاختيار ، وقبول حياة جديدة مبنية على مبادىء الحرية والمساواة يصبح فيها اليهودى انسانا ككل البشر فى مجتمع تقوم أسسه على العقل والقانون الطبيعى ، الذى لا يفرق بين الناس ، ولا يمنح استثناءات ايجابية أو سلبية لجماعة ضد أخرى ٠ وكانت دعوة هؤلاء فحواها البعد عن وسط المسرح ، وأن يصبح اليهودى واحدا بين الكثيرين من البشر له مالهم من الحقوق ، وعليه ماعليهم من

الواجبات والا ينسب اليهودى الى نفسه أية صفة ، يكون هدفها عزله أو تفضيله على بقية الخلق ·

خامسا : من الواضح أن كل هذه الأفكار التى طرأت على عقلية المثقفين من اليهود ـ هى من تأثير عصر التنوير فى القرن الثامن عشر ، والفلسفة الانسانية التى اجتاحت فكر هذا القرن · فاعتنق معظمهم مبادىء عصر التنوير وفلسفته (١) ، وأكد بعضهم على أن تحرير اليهود تأكيد لسيادة

---

(١) يعتبر موسى مندلسون Moses Mendelson (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) أكثر يهود عصره تأثرا بمبادىء عصر التنوير وكان معاصرا وصديقا للفليسوف عمانويل كانت والفليسوف جوتهولد ليسنج وقد دخل معهما فى حوار فلسفى حول طبيعة الدين أدى بمندلسون الى اتخاذ موقف من الديانة اليهودية ضد الهجوم الذى وجهه كانت ، وكان كانت قد طور فكرة أن حقائق الدين ـ وجود الله ، حرية الارادة وغيرها ـ كلها تقع خارج دائرة المعرفة الانسانية وأن الانسان لا يستطيع أن يتصل بالحقيقة الا من خلال التجربة الاخلاقية وعن طريق الحاسة الخلقية المتصلة بالذات الروحانية المنزهة ومميزة عن الذات الظاهرية ، ووجود الاتجاه الأخلاقى فى الانسان يشير الى وجود رب أو سلطة أخلاقية فى العالم على أساسها تبنى عقيدة الايمان بالله ووجوده · والواجب الأخلاقى عند كانت لا معنى له بدون حرية الاختيار وهى فى نفس الوقت تفترض الخلود لكى تعطى فرصة لتحقيق القانون الأخلاقى بعد الحياة الزائلة من خلال الثواب للخير والعقاب للشرير · واذا كان العقل الخالص لا يستطيع اثبات هذه الحقائق الدينية الا أنه لا يرفض امكانية وجودها ، والعقل العملى يتطلب هذه الحقائق كشىء يختص بالاعتقاد الذاتى الداخلى والشعور الانسانى هو مصدر الوحى الذاتى الفطرى لمبادىء الاخلاق ، وهكذا يجعل كانت القانون الأخلاقى قانونا مستقلا يفيض عن الارادة العقلية وحدها ·

ويختلف مندلسون عن كانت فى أنه أضاف الوحى الالهى للشريعة اليهودية الى الوحى الطبيعى أو الفطرى الذى هو الشعور أو الوجدان الانسانى · فقد آمن مندلسون بأن أصل التوراة والديانة اليهودية =

العقل والقانون الطبيعى ، وهذه من صميم أهداف فلسفة عصر التنوير ، وليست مجرد وجه أو شكل من أشكال المعاملة الانسانية ، أو وسيلة من وسائل الوفاق بين المسيحية واليهودية ، وانهاء عصور من الاضطهاد المسيحى لليهود فى أوربا العصور الوسطى ٠

وقد ربط المفكرون اليهود بين سيادة العقل وانتهاء ظاهرة التعصب الدينى التى سادت فترة العصور الوسطى ، ولهذا اعتبروا عصر التنوير بداية للخلاص النهائى ، فمع التقدم وسيطرة العقل على التفكير الانسانى ينتهى العداء لليهود ٠ وقد انقسم الرأى اليهودى فى عصر التنوير ، والتحرر الناجم عنه الى اتجاهين :

= يعود الى مصدر خارجى وليس للارادة العقلانية كما قال كانت ٠ وبالنسبة للعقيدة اتفق مندلسون مع كانت فى رفضه للعقيدة dogma فقد رفض كانت عقائد المسيحية فى الوقت الذى رفع فيه مبادئها الاخلاقية على مبادىء اليهودية ٠ ولكن مندلسون اعتبر الطقس جزءا لا يتجزأ من الشريعة اليهودية التى لا يمكن نسخها فى رأيه الا أنه لم يستطع اقناع كانت بالحقائق المكونة لجوهر الاخلاق اليهودية مثل الانسانية والعدالة والحب فقد صور كانت الاله اليهودى كاله يطلب الطاعة العمياء من اتباعه لقوانينه وطقوسه تحت التهديد والعقاب واعتبر كانت أن أى شىء يفعله الانسان لادخال السرور على الهه غير السلوك الاخلاقى يعتبر جنونا ونوعا من العقيدة الفاسدة ٠

ولقد ترك دفاع مندلسون عن اليهودية انطباعا حسنا لدى صديقه الفليسوف المسيحى ليسنج الذى كان واحدا من أهم المناصرين للحقوق اليهودية فى فترة عصر التنوير حتى انه اصدر مسرحية صور فيها اليهودى على أنه الانسان الوحيد الموهوب روحيا وثقافيا ، والأكثر من ذلك أن جعل ليسنج من مندلسون مثالا لبطل عمله الدرامى الشهير « ناثان الحكيم » وهو عمل يدور حول اليهودية والمسيحية والاسلام كمحاولة للتقريب بينهما وقد أشار ليسنج الى أن المؤمن الحقيقى هو من يحتفظ بالسلوك الأخلاقى فى هذه الأديان ٠

اتجاه تقليدى دفاعى :

فهم التحرر على أنه يعنى حياة اليهودى فى عالمين ، عالمه اليهودى الذى يرتبط فيه بتراثه القديم ، ثم الحياة العامة فى المجتمع • فالدخول فى العالم الجديد لا يجب أن يكون على حساب التقاليد والعادات اليهودية (١) •

والاتجاه الثانى اتجاه تقدمى :

رأى فى التحرر تحقيقا للخلاص ، وخروجا من الماضى اليهودى والدخول فى الحياة الجديدة والتخلى تماما عن كل ما يعوق هذا الاندماج من تقاليـــد وعادات يهودية • اذ لا ضرورة لها فى عصر الحرية (٢) •

---

(١) يعتبر مندلسون ممثلا لهذا الاتجاه فهو فى الوقت الذى دافع فيه عـــن اليهودية كدين وتمسك بالعادات والطقوس الدينية حاول أن يقضى على حواجز الجيتو ويحول اليهودى الى أوربى يحافظ على يهوديته ، وطبقا لرأيه : على اليهودى أن ينغمس فى الثقافة الغربية ويتدرب على الحياة فى بيئتين البيئة الغربية والبيئة اليهودية حاملا بهذا مسئولية ثقافية مزدوجة • وقد تحقق هدف مندلسون الأول ففى خـــلال سنوات اندمج اليهود فى الثقافة الألمانية ولكنه فشل فى تحقيق الهدف الثـانى حيث لم ينجح فى تثبيت الرغبة والاتجاه الى المحافظة على التـــراث اليهودى فى أذهان اليهود الألمان وخاصة المثقفين منهم

انظـــر : Mod rn Jewish Religious Movements p. 73.

وانظر أيضا : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ٣٦ ــ ٣٩ • وكذلك : اليهودية للدكتور محمد بحر عبد المجيد ص١٦٩ ــ ١٧١ وانظر ايضا :

David Rudavsky, Modern Jewish Religious Movements, A History of Emancipation and Adjustment, Behrman House, N.Y. 1967, p. 52-53, 56.

(٢) Jacob Katz, Tradition and Crisis, Jewish Society at the end of the Middle Ages, Schocken Books N.Y. 1971. p. 257.

ومن الواضح أن هذين الاتجاهين المتضادين يعكسان مبدأ الحرية القومية ، والحرية الفردية اللذين دعت اليهما الثورة الفرنسية ، فالاتجاه التقليدى الدفاعى يحاول المحافظة على الطابع القومى لجموع الشعب اليهودى ، عن طريق التمسك بالتراث ، بينما يتفق الاتجاه التقدمى مع مبدأالحرية الفردية • فهو يسعى الى تحقيق الحرية اليهودية على المستوى الفردى بأن يتحقق للانسان اليهودى الحياة الحرة فى مجتمع يسوده العقل والقانون •

***

الباب الثانى

طبيعة الحركة الصهيونية ومكانتها بين الحركات

اليهـــودية المعاصـــرة

الفصل الأول

طبيعة الحركة الصهيونية

اختلفت الآراء حول طبيعة الحركة الصهيونية ، فقد وصفت بأنها حركة سياسية قومية ، تنبع أساسا من الواقع السياسى اليهودى ، ومتأثرة فى ذلك بالأحوال اليهودية فى أوربا فى القرن التاسع عشر • كما أنها عاصرت ظهور الحركات القومية الأوربية وتأثرت بأفكارها القومية ، بل وحاولت الاستفادة من مواقفها لتحقيق القومية اليهودية ، وتحديد هدفها القومى باقامة الدولة اليهودية •

وأعتقد فريق آخر أن الصهيونية حركة تجمع بين الدين والسياسة ، فلكى يحقق أصحاب فكرة الصهيونية هدفهم حاولوا تبرير قيام الحركة الصهيونية تبريرا دينيا حتى يضمنوا تأييد وانضمام الجماعات اليهودية المتفرقة الى الحركة ، ومساندتهم المادية والمعنوية لأفكارهم ومشروعاتهم • ولهذا كان من الضرورى ربط فكرة الصهيونية بمضمون التراث الدينى اليهودى حتى تتقبلها الجماعات اليهودية •

وهناك فريق ثالث من الصهاينة المتطرفين الذين حولوا فكرة الصهيونية الى ما يشبه العقيدة الدينية أو المذهب الدينى ، فتطورت الفكرة عندهم لتصبح دينا لا يتعارض مع الديانة اليهودية ، ولكنه بمثابة مذهب قومى دينى يلزم كل يهودى بأن يكون صهيونيا (١) •

---

(١) يقول بلاو عن الصهيونية فى أمريكا أنها « أصبحت الدين القومى ليهود أمريكا وأنه مع بداية تحول يهود أمريكا الى الصهيونية شعر =

= بعض اليهود بصعوبة حول مشكلة الولاء المزدوج لأمريكا ولصهيون ، ولم ينقذ هذا الموقف الا التأكيد الصهيونى بين جماعة المحافظين على الأقل ، على الجانب الثقافى لا السياسى وهكذا أصبح من السهل توضيح أن هذين الشكلين من القومية لاصراع بينهما وان ظلت المشكلة باقية بين فئات الأرثوذكس والاصلاحيين فى أمريكا • ومنذ العشرينات الى الخمسينات من هذا القرن الحالى حدث تحول خطير فى طبيعة الجماعات اليهودية فى أمريكا جعل هذه الجماعات تقوم أساسا على أسس بعيدة عن الايمان الدينى لتقليدى ، واستبدل بهذا الايمان الصهيونية التى تحولت الى دين قومى ليهود امريكا جعل منهم وحدة واحدة ربما لأول مرة فى تاريخ اليهودية فى أمريكا • ويتساءل بلاو ماالذى سيحل محل الصهيونية كعامل توحيد يهود أمريكا فى المستقبل • ويجيب على تساؤله بأن المستقبل وحده هو الذى سيكشف ان كان هناك عامل آخر سيحل محل الصهيونية فى أمريكا •

انظر : Zionism as a Religion « in Modern Varieties of Judaism Columbia Univ. Press 1966 pp. 145-151.

ويوحى الخطاب الذى ألقاه تيودور هرتسل فى المؤتمر الصهيونى الأول ، الذى انعقد فى بازل عام ١٨٩٧م ، بأن هرتسل يساوى بين اليهودية والصهيونية حيث قال : « ان الصهيونية عودة الى اليهودية قبل أن تكون عودة الى الوطن اليهودى » وكذلك : « لقد وحدت الصهيونية بين أكثر عناصر اليهودية حداثة وأكثرها محافظة ومثل هذا الاتحاد لم يكن ممكنا بدون القاعدة القومية » • انظر :

Theodor Herzl, Opening Address at the First Zionist Congress», in Zionist Writing. Essays and Addresses, Vol. I. Hertz Press New York, 1973, p. 133.

يعتقد الغالبية العظمى من مفكرى الصهيونية ـ أن حركتهم قومية دينية وهم يتخذون من مفكرتى الخلاص والمسيح ـ ركيزة دينية يقيمون عليها دعائم الحركة (١) ـ وهاتان الفكرتان من الأفكار الحشرية المهامة التى تقوم عليها الديانة اليهودية ، والأفكار الحشرية فى كل دين تختص بالأمـــور الدينية التى تعالج موضوعات نهاية العالم والموت ، وأحداث ما بعد الموت ـ من بعث وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار ٠ وفى عبارة أخرى يتنـــاول الفكر الحشرى كل ما يتعلق بأحوال العالم الآخر ٠

---

(١) يعتبر سلفر العامل المسيحانى أحد العوامل الأساسية فى التفكير القومى اليهودى وقد أدى الى ظهوره فى الديانة اليهودية فقدان الاســـتقلال القومى بعد نهاية الوجود السياسى الاسرائيلى ٠ وهو يعتقد أن مفهوم المسيح المخلص مفهوم جماعى نشأت عنه كل المطامح والتطلعات السياسية والدينية والأخلاقية وكان المثال المسيحانى فى البداية مثالا سياسيا دنيويا ، تلون بعد ذلك باللون الدينى الصوفى النابع عـن النبوة الاسرائيلية ، ثم اكتسب المفهوم صفته الاعجازية الخارقـــة للعادة بأن تحول الى مهمة تحقيق الخلاص القرمى والتحول الى اليهودية وهى مهمةلايمكن تحقيقها بالمجهود الانسانى وحدهومن هنا بدأتشخصية لا يمكن تحقيقها بالمجهود الانسانى وحده ومن هنا بدأت شخصيـــة المسيح فى الظهور وقد كانت هذه الشخصية شخصية انسانية ورسالته رسالة سياسية دينية ، الا أن بعض الصفات الخارقة للعادة أضيفت على الشخصية الانسانية نظرا لنوعية مهمتة الشاقة التى تصعب على البشر . ونتج عن هذا الاعتقاد فى كائن مقدس ملهم قادر عـــلى تدمير قوى الشر التى تضطهد شعبه وقادر على استرداد شعبه ورفع المعاناة عنه واعادة المجد القديم اليه ٠ وقد أضيف الى هذا الاعتقاد فى شخصية المسيح المخلص الايمان بأن ظهوره لن يتحقق الا عن طريق توبة الشعب وطهارته الأخلاقية فهى تمهد الطريق لقدوم المخلـــص ولتحقيق الخلاص القومى ٠ وليس من شك فى أنه مع كل هذه التطورات التى أدخلت على مفهوم المسيحانية ظل المفهوم محتفظا بطبيعـــة الخلاصية التى لازمته منذ القدوم ، كما احتفظ بفكرة أن الخلاص =

وفى الديانة اليهودية بالذات يبدأ هذا الفكر الحشرى بعصر الخلاص الذى يعتمد فى المقام الأول على قدوم المسيح المخلص ليدخل بالجماعة اليهودية فى عصر جديد • وقد مرت الفكرة بعدد من التطورات . ففى بداية الأمر كانت لفظة « المسيح » صفة تطلق على الملوك والكهان وغيرهم ممن مسحوا بالزيت ، وهذا يعنى تلقيهم للقداسة الالهية ، وتلقت الكلمة معنى جديدا فى عصر السبى وما بعده ، فأصبح المقصود منها أى انسان له رسالة خاصة من عند الله • وقد شمل هذا المعنى البطاركة أو الآباء الاسرائيليين ، وأنبياء بنى اسرائيل ، وامتدت الى الشعب اليهودى ككل على أنه شعب صاحب رسالة ، بل وأطلق أيضا على بعض الشخصيات غير اليهودية أمثال « كورش الفارسى » (١) •

وبعد السبى أصبح الاهتمام الأول للجماعة اليهودية فى المنفى هو العودة الى فلسطين ، وقد انبثقت عن فكرة العودة هذا الاعتقاد الذى طوره أنبياء بنى اسرائيل بعد السبى ، والخاص باقامة مملكة الله ، والتى ارتبطت

= سيأتى فى شكل حادثة أو واقعة تحدث فى التاريخ وأمام الجميع ، وتحتفظ بالمظهر الخارجى لهذه الواقعة فى العالم المرئى وهذا بعكس النظرة المسيحية الى فكرة المسيحانية • فهى فى المسيحية واقعة تنعكس على الروح فى العالم الروحى غير المرئى وهى لذلك مرتبطة بالفرد وتؤثر على التحول الذاتى الداخلى الذى قد لا يستوجب الارتباط بأى مظاهر خارجية •

للمقارنة بين اليهودية والمسيحية انظر :

Gershom Scholem, The Messianic Idea in Judaism, and Other Essays on Jewish Spirituality, Schocken Books, N.Y., 1972, p. 1-2.

وانظر أيضا : Joseph L. Blau, Modern Varieties of Judaism, Columbia Univ. Press, N.Y. 1966, p. 121-123.

(١) The Standard Jewish Encyclopaedia ed. by Cecil Roth. Massadah Pub. Co., Jerusalem, 1966,

بجمع الشتات الاسرائيلى تحت زعامة قائد أو زعيم من سلالة داود · ويكون هذا الزعيم أو القائد مسيح الرب المختار لتحقيق الخلاص اليهودى (١) · وفى العصر الرومانى مرت فكرة المسيح المخلص بتطور آخر ، فساد توقع ظهور مسيح شخصى ، أو بمعنى آخر تجسدت فكرة الخلاص فى شخص من نسل داوود ، يظهر ليضع نهاية لآلام اليهود · ويفتتح عصرا ذهبيا تحياه الجماعة اليهودية ، وقد أدى تجسيد فكرة الخلاص فى شخص حقيقى الى ظهور عدد من الشخصيات التى عرفت فى التاريخ اليهودى بلقب « المسيح الدجال » والتى أدعت صفات شخصية المسيح المخلص (٢) ·

وكلما مرت الجماعة اليهودية بظروف طارئة فى تاريخها تكررت ظاهرة « المسيح الدجال » ، فبعد دمار الهيكل الثانى عام ٧٠م زاد التوقع بقدوم هذا المسيح ، ووضعت بعض العلامات الخاصة بقدومه ، كما حدد البعض زمن قدومه · ونجد مثل هذه المظاهر فى سفر « دانيال » ، وفى أماكن أخرى من العهد القديم ، وفى المقاومة اليهودية للاضطهاد الرومانى نسبت شخصية المسيح الى « بركوخبا » (١٣١م) كما ظهر فى القرن الخامس مسيحى دجال يدعى « موسى » فى جزيرة « كريت » ، كما أدى سقوط الامبراطوريات الفارسية والبيزنطية فى القرن السابع الى ظهور الاهتمام بالفكر الخلاصى من جديد ، (٣) فظهر أكثر من مسيح دجال فى فارس وسوريا وهمذان ، وفى القرن التاسع الميلادى انتشرت فكرة العثور على القبائل الاسرائيلية العشر المفقودة ، وكانت عودة ظهور هذه القبائل أحد ضروريات عصر الخلاص ، وتلقى الاعتقاد فى المسيح المخلص دفعة قوية على يد موسى بن ميمون الذى أثار فى رسالته الى اليمن بعض التطورات الخاصة بالاعتقاد فى المسيح المخلص ، وأكد هذه العقيدة بأن جعلها واحدة من أركان الايمان لأول مرة فى

---

(١) المرجع السابق عمود ١٣٠٧ ·

(٢) انظر : الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه · القاهرة ١٩٧١ ص ١٥٧ _ ١٦٤

(٣) المرجع السابق عمود ١٣٠٩ ·

تاريخ الديانة اليهودية (١) • وان كان قد دعى بحكم فلسفته العقلانية الى ضروره ادراك الطبيعة العقلية ، وغير الاعجازية لعصر العلاص • وأهم معالم هذه الطبيعة ـ تحقيق نهاية العبودية السياسية للجماعة اليهودية على يد زعيم من نسل داود (٢) •

وانتشرت ظاهرة المسيح الدجال بصورة خاصة فى عصر الحروب الصليبية، والتى تعرضت فيها الجماعات اليهودية فى أسبانيا بالذات وفى غيرها من بلدان أوربا لكثير من مظاهر الاضطهاد الدينى • ففى ١٠٩٦ م ذاع فى سالونيكا الاعتقاد فى أن عصر الخلاص قد بدأ بالفعل ، وفى عام ١١٢١ م ادعى أحد القرائين فى فلسطين أنه المسيح المخلص • كما ادعى نفس الشىء أشخاص كثيرون فى العراق واليمن وفارس وأسبانيا وفرنسا وصقلية • وأدت أحداث الاضطهاد فى اسبانيا عام ١٣٨١ م وطرد اليهود منها عام ١٤٩٢ الى ظهور عدد كبير من المدعين لشخصية المسيح المخلص ، ويتوالى ظهورهم فى القرون التالية ، وآخر من ادعى هذا كان واحدا من يهود اليمن ، وحدث هذا عام ١٨٦١ (٣) •

ويمكن القول أنه على المستوى الفكرى العام استغل القائمون على

---

(١) The Messianic Idea in Judaism, p. 31.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠ وعن رأى موسى بن ميمون فى الطبيعة غير الاعجازية للمسيح المخلص انظر نفس المرجع ص ٢٩ ـ ٣٢ •

(٣) عمود ١٣٠٩ The Standard Jewish Encyclopedia وكذلك Messianic Speculation in Israel, p. XVI.

وعن التفكير المسيحانى فى فترة الحروب الصليبية انظر المرجع السابق ذكره ص ٥٨ ـ ٨١ •

الحركة الصهيونية وجود فكرة المسيح المخلص فى التراث اليهـــودى (١) ، وطبيعى أن تنتفى الطبيعة الشخصية للمسيح المخلص ليتم الخلاص على يد مجموعة من اليهود أو على الأقل أن المسيح المخلص أصبح فكرة ، رمزا استغله المفكرون الصهاينة لتنفيذ غرضهم ، وهذا لا يمنع أن فكرة المسيح المخلص بأوصافه الشخصية قد نسبت الى عدد من مفكرى الصهيونية الذين رأى فيهم البعض تحقيقا لبعض ملامح شخصية المسيح المخلص · ومن هؤلاء الذين أطلق عليهم الفكر الصهيونى لقب المسيح المخلص زعيم الصهيونية السياسية « تيودور هرتسل » كما أطلق اللقب أيضا على بعض رواد الحركة الصهيونية ، وبخاصة من لعب منهم دورا رئيسيا فى نشأة وظهور الدولـــة اليهودية الى جانب بعض الشخصيات العسكرية الاسرائيلية ·

واذا تتبعنا فكرة المسيح المخلص كما نشـــأت تاريخيا ، لادركنـــا أن الصهيونية عند غالبية المعتقدين فيها تعبير عن الخلاص القومى · فقد رأى فيها الكثيرون كما سبق أن ذكرنا نهاية لحياة المنفى ، وبداية لجميـــع الشتات اليهودى والاستقرار ، وتحقيقـــا للخـــلاص اليهودى · ولكى يتجنب مفكرو الصهيونية الاصطدام بالاثوذكس من الجماعات اليهودية التى تفهم الخلاص

---

(١) Messianic Speculation in Israel, p. XX.

(١٧٨٨ ـ ١٨٧٨) أول من استغل التفكير المسيحانى فى اليهودية من أجل نشر الأفكار الصهيونية التى دعا اليها وتمثل كتاباته التحـــول بفكرة المسيحانية ، من مجالها الدينى المحض الى برنامج عملى فعلى ولأن تفكيره كان علمانيا سياسيا فقد واجه كثيرا من النقد الذى وجهه له التقليديون من اليهود الذين اعترضوا على تحقيق الخلاص بأيـــد بشرية وأعلنوا عدم امكانية تحقيقه الا بالتدخل الالهى ·

Modern Varieties of Judaism p. 129-130.

وانظر أيضا : The Zionist Idea, p. 29, 103-107.

فهما دينيا خالصا ، أضطر هؤلاء المفكرون الى تفسير الحـــركة الصهيونية تفسيرا خلاصيا ، وان جعلوا وسائل تنفيذ الخلاص وسائل علمانية (١) ٠

فهدف الصهيونية حسب هذا الرأى هدف دينى حشرى ، يتم الوصول اليه بالجهود السياسية والدبلوماسية ٠ فالصهيونية هى المسؤولة عن تحقيق الخلاص بمايتبعه من أمن واستقرار ، وتجميع للشتات اليهودى ٠ وقد كان هذا هو الوجه الذى ظهرت به الصهيونية ، وقدمت به نفسها للجماعات اليهودية ، فقد ألبس زعماء الصهيونية حركتهمثوب المخلص الدينى ،وجعلوها امتدادا للفكر الخلاصى اليهودى ، بل ونتيجة حتمية لهذا الفكر ٠ فالصهيونية فى رأيهم الحلقة الأخيرة فى سلسلة الأحداث التى بدأت بدمار الهيكل على يد الرومان ، بل يعود بها البعض الى عصر السبى البابلى وخلاصة اعتقادهم أن ظهور الحركة الصهيونية ضرورة تاريخية أوجبها تطور أحداث التاريخ اليهودى منذ السبى البابلى الى العصر الحديث ٠

وقد سبق ذكر أن هذا التفسير الجديد للخلاص ، ومعناه ووسائل تنفيذه يتعارض مع التعاليم الدينية اليهودية الخاصة بالخلاص ٠ وأول وجوه هذا التعارض أن الخلاص ، كفكرة دينية بحته ، هو صورة لطبيعة العلاقة بين الله والانسان ٠ وقد فهم الارثوذكس من اليهود عبر العصور أن الخلاص يعنى اللقاء الأخير بين اليهودى وربه ، وأن حياة المنفى رمز للعقاب الذى قدره الله على الجماعة اليهودية بسبب خطاياها وبعدها عن عبادته الحقيقية ، فهى رمز للتكفير عن الذنوب التى أقترفوها على المستوى الفردى والجماعى ٠

وقد تخلصت الصهيونية بتفسيرها الجديد لمفهوم الخلاص من هذا العنصر الالهى ، فلم يعد الخلاص تعبيرا عن العلاقة الدينية بين العابـــد

---

(١) وفى هذا يقول بلاو : « ان الصهيونية الحديثة ، بينما احتفظت بعناصر من الأمل المسيحانى القديم الا أنها أدخلت محاولة تطوير خطط عملية للمجهود الانسانى فى بناء الوطن القومى » ، وبهذا فقد أعطت الصهيونية « معنى علمانيا علميا لمفهوم دينى عن الخلاص غير البشرى » ٠
انظر : Modern Varieties of Judaism, p. 134.

والمعبود ، ولكنه تصور لنهاية الصراع القائم بين اليهود والعالم · كما قضى هذا التفسير أيضا على العنصر الشخصى فى العلاقة بين الله والانسان ، فلم يعد الخلاص يعبر عن تجربة دينية أو شعور دينى ذاتى تجاه الخالق ، ولكنه محاولة للتوفيق بين اليهودى والعالم الذى يعيش فيه ، أو رمز لحرية اليهود فى العالم الجديد ، وتجسيد للأفكار القومية التى سادت أوربا القرن التاسع عشر · ولا شك فى أن هذا التطور الجديد للخلاص ومعناه قد غير المعنى الدينى للخلاص ، وأحدث تغييرا جذريا فى القيم الدينية التى نشأت حول فكرة الخلاص ·

وقد رأينا من قبل أثر هذا التغيير على فكرة الاختيار ، والمحاولات التى بذلت للحفاظ عليها فى الفكر الصهيونى ، والتى تسببت فى وقوع تناقض واضح بين الدعوة الى مساواة اليهودى بغيره ثم التأكيد على أفضلية اليهودى·

وهكذا فقد عالجت الصهيونية العنصرية بعنصرية أشد وأقوى · فمحاولة وضع الحياة اليهودية داخل الاطار العام للتاريخ البشرى تعارض من الوجهة النظرية مفهوم شعب الله المختار ، ولذلك اضطر بعض مفكرى الصهيونية الى التمسك بفكرة الاختيار ، وأفضلية الانسان اليهودى ، وان كانوا قد ألبسوها ثوبا عصريا اتفق فى جانب مع الفكر الاستعمارى ، ورسالة تنوير الشرق وتحضيره ، أو فكرة الدولة المثالية الرائدة للعالم وهى فى معظمها أفكار لاتزال نرى صداها فى بعض الدوائر الصهيونية والاسرائيلية ، حتى بعد أن انتهى الاستعمار العالمى ، وانتهت معه فكرة بعثة الحضارة الغربية الى الشرق المتخلف · فكلنا يسمع عن بعض الادعاءات الاسرائيلية ، التى تحاول فرض مسحة مثالية على طبيعة دولة اسرائيل ، فتصفها أحيانا بأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة فى منطقة الشرق الأوسط ، وأنها أيضا قادرة على تحويل هذه المنطقة بأكملها الى منطقة حضارية ، وتساعد فى تقدمها التكنولوجى وازدهارها الاقتصادى ·

* * *

الفصل الثانى

الحركة الصهيونية بين الحركات الدينية اليهودية المعاصــــرة

١ ـ تعريف الحركة الدينية وأنماطها :

ولكى نصل الى الطبيعة الحقة للحركة الصهيونية نرى ضرورة مقارنتها بالحركات الدينية اليهودية المعاصرة • والهدف الحقيقى من هـــذه المقارنة التعرف على مدى صحة المضمون الدينى للصهيونية ، كما يدعيه كثير من دعاتها ومفكريها •

وقد ظهر من التحليل السابق كيف حاول مفكرو الصهيونية الربط بين الصهيونية والتراث الدينى اليهودى ، وكيف استغلوا بعض المفاهيم الدينية اليهودية وأعادوا تفسيرها لصالح فكرة الصهيونية • والســـؤال المطروح للمناقشة الآن هو : هل من الممكن أن نعرف الصهيونية بأنها حركة دينية ؟ وهل تكفى التعديلات التى ادخلتها الصهيونية على بعض الافكار الدينيـــة اليهودية لتجعل من الصهيونية حركة دينية ؟ وللاجابة عن هذه التساؤلات لابد من التعرف أولا على طبيعة الحركة الدينية بصـــورة عامة ، وتطبيق مواصفات الحركة الدينية على الفكر الدينى اليهودى ، ثم شرح الحركـــة الصهيونية على ضوء هذه النتائج لنرى ، ان كانت مقومات الحركة الدينية ومواصفاتها تنطبق على الحركة الصهيونية أم لا •

المقصود بالحركة هو الاتجاه الى التغيير ، فالحركة الدينية اذن هى محاولة لاحداث بعض التعديلات فى بعض الأفكار الدينية لكى تناسب تفكيرا أيديولوجيا معينا • ومن الشروط الواجب توافرها فى الحركة الدينية أن يكون

لها برنامج دينى محدد ، تسعى الى تطبيقه ونشره بين أبناء المجتمع ، وهذا البرنامج الدينى يستند بالضرورة الى نظام فكرى يتمثل فى عدد من المبادىء النظرية • والحركة الناجحة هى التى تجمع بين الجانبين النظرى والعملى ، وتوائم بين الفكر والتطبيق ، فلا تكن حركة مثالية لا وجود لها فى الواقع ، أو حركة لها دعوة عملية لاتقوم على فكر قويم فالبرنامج الدينى الذى تدعو اليه الحركة لابد وأن يقوم على رؤية جديدة ، أو فلسفة خاصة ، هى محور الحركة الدينية والسبب فى قيامها • وهذه الرؤية الجديدة هى التى تحدد مكان الحركة فى الفكر الدينى النابعة منه •

واذا نظرنا فى طبيعة الحركات الدينية لادركنا أن الحركات الدينية تنقسم الى عدد من الأنماط ، والأشكال الدينية ، التى تختلف فيما بينها فى الشكل والمضمون ، وفى القصد الذى تهدف اليه ، والغرض الذى نشأت من أجله • وهذه الأنماط نجدها فى كل الحركات التى تسعى الى التغيير ، دينية كانت أو غير دينية ، ويمكن حصر هذه الأنماط فى ثلاثة :

أولا : النمط المحافظ التقليدى :

وبطبيعة الحال لا يسعى أصحاب هذا النوع من الحركات الى أحداث أى تغيير فى المفاهيم الدينية الموروثة • ونذكره هنا على أنه النمط الذى تتحرك حوله بقية الحركات ، وتتخذه محورا لفكرها ، تحدث فيه ما تراه من تعديلات تناسب ماتدعو اليه من عقيدة ، وهو فى نفس الوقت الأصل الذى تتفرع عنه الحركات الدينية ، التى تضطر الى اتخاذ موقف من هذا الأصل ، فتتقبله أو تغير منه على حسب رؤيتها الجديدة ونظرتها الى ما يتضمنه هذا الأصل من عقائد •

ويطلق على هذا النمط التقليدى الموروث العقيدة الارثوذكسية المعبرة داخل كل دين عن الصورة الاصلية التقليدية لهذا الدين ، والمعارضة لكل محاولات التغيير من تجديد أو اصلاح • وان سمحت بهما ففى حرص وحذر شديدين ، وقد انتشر استخدام مصطلح الارثوذكسية للتفرقة بين هذا النمط من التفكير الدينى والانماط الأخرى الصادرة عنه • وعندما حاول أصحاب

الارثوذكسية المواءمة بين عقيدتهم ، وضروريات العصر أطلق عليها اسم « الارثوذكسية الجديدة » التى تحاول التعديل من نفسها بما يجارى التغييرات الطارئة ، ويساير العصر ولكن فى حدود ضيقة جدا ٠

ثانيا : النمط التجديدى :

الذى يحاول شرح الدين أو العقيدة الأصلية شرحا عصريا ، وتفسيرها تفسيرا يتناسب مع الظروف الزمانية والمكانية ، ويحاول البحث عن حلول للمشاكل الناجمة عن التفاعل بين الدين والبيئة فى حدود الزمان والمكان المناسبين ٠

ثالثا : النمط الاصلاحى :

الذى يحاول ادخال كثير من التعديلات على العقيدة الاصلية ، وان اضطره هذا الى التخلى عن بعض الأفكار التقليدية الموروثة ان ثبت عدم جدواها ٠ وقد يكون هدف الاصلاح تنقية العقيدة الارثوذكسية مما دخلها من عناصر غريبة عليها ، والعودة بها الى حالتها الأولى ٠ وقد يكون الهدف من الاصلاح هو التجديد ، ومسايرة العصر بالتخلى عن العقائد التى تقف عقبة فى سبيل تحقيق هذا الهدف ٠

٢ ـ الحركات الدينية اليهودية :

(أ) حركة اليهودية الارثوذكسية :

واذا طبقنا هذه الأنماط الثلاثة للحركة الدينية على الواقع الدينى المعاصر فى الفكر اليهودى لوجدنا هذه الأنماط الثلاثة موزعة على النحو التالى :

أولا : يتمثل النمط التقليدى المحافظ : فى الديانة اليهودية التقليدية ، والارثوذكسية الجديدة المتطورة عنها ٠ وقد شاع استخدام مصطلح الارثوذكسية بعد ظهور الحركة الاصلاحية فى غرب أوربا ، وكان استخدام هذا الاسم تعبيرا عن المعارضة من جانب اليهود الارثوذكس للتغييرات التى أدخلها الاصلاحيون على العقيدة اليهودية ٠

والجماعة المتطرفة من الارثوذكس اليهود ، وهم يهود شرق أوربا ، ترفض كل محاولات التجديد والاصلاح فى أى جانب من جوانب الحيـــاة اليهودية ، وبخاصة الحياة الدينية ، بينما انتهجت الجماعة الارثوذكسية فى غرب أوربا سياسة الحفاظ على الحياة اليهودية التقليدية فى الوقت الذى لا يرفضون فيه الثياب الأوروبية والتعليم العام واستخدام اللغة الدارجـــة التى يتحدث بها أهل البلد الذى يقيمون فيه ، الى غيـــر ذلك من المظاهر العامة للحياة ، والتى لاتلمس صلب العقيدة اليهودية ، أو تضر بأى مبدأ من مبادئها . وقد أدى هذا الى تطوير عقيدة الارثوذكس فى شكل مخالف للنمط التقليدى المحافظ ، مما دعى البعض الى اطلاق مصطلح « الارثوذكسية الجديدة » على هذا النمط الجديد المتطور عن الارثوذكسية التقليدية (١) .

---

(١) Modern Jewish Religious Movements p. 218.

يقول رودفسكى أن الصراع بين اليهودية التقليدية والهسكالا فى المانيا أدى الى ظهور الاصلاح وفى هذا الصراع لم تسلم اليهودية التقليديـة (الارثوذكسية) من التغيير فقد اضطرت الى ابداء بعض التنازلات فى سبيل التحديث مما أدى الى ظهور ما سمى بالارثوذكسية الجديدة . هذا وقد عارض جزء من اليهود التقليديين اجراء أى تغييـــرات على عقيدتهم فأطلق عليهم الاصلاحيون لقب « المؤمنون القدامى » . واستمر هؤلاء فى حياتهم اليهودية داخل الجيتو فى المانيا وغيرها ، وفى وسـط تحكمه تماما المفاهيم التلمودية ونظروا نظرة معادية الى ثقافة العـالم الخارجى ، واعتبروها على غير اتساق مع اليهودية ، وقد شاركهم فى هذا معظم يهود شرق أوربا . ومن المتحدثين باسم هذه الجماعة موسى سوفير (١٧٦٣ ــ ١٨٣٩) الذى حرم على بنى أهلـــه قراءة أعمال مندلسون ومنعهم من اكتساب أى تعليم علمانى ، أو الانشغال بالثقافة الخارجية على التراث اليهودى وأثر عنه قوله : لقد تغيرت الأزمات ولكن لنا أب قديم مبارك اسمه لم يتغير ولن يتغير » .

انظر : Modern Jewish Religious Movements, p. 218-219.

فالحركتان تختلفان فى أن الارثوذكسية الجديدة تقبلت بعض التغييرات فى الديانة أبعدتها قليلا عن أصولها القديمة ٠

ومن الطريف أن طائفة « الاصلاحيون » هم الذين استخدموا مصطلح الارثوذكس ليعرفوا به التقليديين من اليهود والاتقياء منهم (١) ومع ذلك فقد تقبلت الجماعة اليهودية التقليدية هذا الاصطلاح لكى يعرفوا به ، وتم استخدام هذا الاصطلاح لأول مرة فى احدى المجلات الصادرة فى برلين عام ١٧٩٥ م ٠ ومن المعروف أن هذا الاصطلاح مستعار من المسيحية ، وربما كان من الخطأ اطلاقه على جماعة يهودية ٠ ففى المسيحية نجد ان كلمة أرثوذكس تعنى « الاعتقاد الصحيح » وهى تنطبق على المسيحية ، حيث تلعب العقيدة دورا هاما فى نظام الايمان المسيحى ٠

وتعتبر الارثوذكسية الجديدة نتيجة من نتائج الصراع بين اليهودية التقليدية واليهودية الاصلاحية ٠ فقد اضطرت الديانة اليهودية الى تقديم بعض التنازلات لمسايرة العصر الحديث ٠ وكانت النتيجة فى النهاية ظهور الارثوذكسية الجديدة فى المانيا ٠ وهذه الارثوذكسية الجديدة ليست فى حقيقة الأمر شيئا جديدا على الديانة اليهودية فقد سبق ظهورها من قبل بين يهود العالم العربى ، ويهود اسبانيا فى العصور الوسطى ٠ ولهذا فالارثوذكسية الجديدة هى بعث للنظام الدينى الذى ساد بين يهود العالم الاسلامى ، وهو نظام قد تطور نتيجة لاشتراك اليهود فى الحياة العامة ٠ ومن هنا فقد حاولت مسايرة العصر ، وعدلت عن بعض مبادئها التقليدية تحت تاثير الحياة الفكرية الاسلامية ٠ وتتمسك الارثوذكسية الجديدة بكل المفاهيم الرئيسية للديانة اليهودية والتراث اليهودى ، وتعتقد فى الوحى كمصدر للشريعة اليهودية كما أنها تتمسك بكل العادات والتقاليد اليهودية (٢) ٠

---

(١) Modern Varieties of Judaism, p. 63.

(٢) Modern Jewish Religious Movements, p. 219.

انظر وصفا تفصيليا للارثوذكسية الجديدة فى نفس المصدر ص ٢١٨ ـ ٢٧٠ وانظر أيضا : Modern Varieties of Judaism, pp. 60-88.

الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٦٥ ـ ٨٧ ٠

(ب) الحركة اليهودية الاصلاحية :

يتمثل النمط الاصلاحى فى الحركة الدينية اليهودية المسماه باليهودية الاصلاحية • وقد كان ظهور هذه الحركة استجابة للحقوق التى منحتها الثورة الفرنسية ، والفرصة التى سنحت لاشتراك اليهود فى المجتمع الأوربى • وقد رأى أصحاب هذه الحركة أن على اليهود أن يدخلوا بعض الاصلاحات على الديانة اليهودية الارثوذكسية ، وتغيير بعض العادات والتقاليد اليهودية لمواجهة التحديات التى يفرضها العصر الذى يعيشه اليهود ، ومجابهة التغير الذى يطرأ على المجتمع عامة •

ومن التعديلات التى سنتها هذه الحركة تقصير الصلاة اليهودية ، واستخدام اللغة الدارجة لغة للحديث ، بل وسمحت باستخدامها فى الخطب والمواعظ الدينية ، وهجر اليهود التابعون لهذه الحركة كثيرا من العـــادات اليهودية ، وانشقوا على كثير من السنن التى سنها التلمود •

وقد تبلورت الحركة الاصلاحية بشكل خاص فى أمريكا التى انتقل اليها نشاط الاصلاحيين ، وقد آمن أصحاب الحركة فى أمريكا بضرورة أن تستجيب اليهودية لمطالب العصر ومواقف الحياة المختلفة ، فتغير من نفسها ، وتصبح من المرونة بحيث تتمكن من مسايرة العصر ومطالبه • وفى عام ١٨٦٩ انعقد فى مدينة فيلادلفيا أول مؤتمر لوضع أسس الدعوة الاصلاحية ، وقد تمخض هذا المؤتمر عن عدد من القرارات أهمها :

١ ـ التأكيد على فكرة رسالة اسرائيل التى تتضمن الاعتقاد فى أن الله شتت اليهود لهدف الهى ، وهو نشر عقيدة التوحيد والاخلاق التوحيدية فى العالم • ولهذا فالشتات ليس عقابا على الخطايا ، ولكنه وسيلة لتنفيذ وتحقيق هذه الرسالة الالهية •

٢ ـ التأكيد على أن اللغة العبرية لغة مقدسة يجب نشرها ، ولكن لا ضرورة لاستخدامها فى المعابد نظرا لظروف الحياة اليهودية فى أمريكا •

فالعبرية ليست مفهومة لدى الانسان اليهودى ، ولهذا فاستخدام اللغة الدارجة يمكن هذا الانسان من فهم الصلاة ، فالعبادة بدون فهم لاروح لها ٠

٣ ـ استبدل الاصلاحيون الامريكيون عقيدة البعث بعقيدة خلود الروح ٠

٤ ـ أبطل الاصلاحيون كل الفوارق بين الكهنة واللاويين والاسرائيليين، كما شرحوا الاشارات الواردة فى الأدب الكنسى بخصوص نظام الكهنوت وعقيدة التضحية على أنها من الآثار التربوية للماضى ، بمعنى أن قيمتها تاريخية بحتة ، ولا داعى لاستمرارها ٠

٥ ـ غير المؤتمر أيضا القوانين اليهودية الموروثة ، والخاصة بالزواج والطلاق والقوانين الاسرية ، أو ما يتعلق بالأحوال الشخصية منها مثل : الأرملة التى ليس لها أولاد من زوجها الميت تستطيع الزواج دون أن تنفذ الطقس الخاص بخلع النعل (التثنية ٧ ـ ١٠) والمرأة المقيدة التى اختفى زوجها دون أن يترك أثرا تستطيع الآن الزواج ٠ وقد كان التلمود قد حرم عليها الزواج ، وغيرها من الحالات (١) ٠

وانعقد فى عام ١٨٨٥ مؤتمر آخر فى مدينة « بتسبرج » يضم تسعة عشرة من حاخامات الطائفة الاصلاحية ٠ وقد صدر عن هذا المؤتمر مجموعة من القرارات ، وضحت موقف الحركة الاصلاحية ، وحددت برنامجها الدينى، وتتضمن هذه القرارات :

١ ـ الاعتراف بأن كل الأديان تحاول الوصول الى الحقيقة الالهية ، وأن كل كتاب مقدس فى أى نظام دينى يوحى بهذا الشعور تجاه الله ٠ وأن اليهودية تقدم فكرة الالوهية فى أحسن صورها ، كما يوحى بهذا الكتاب المقدس ، وكما طورت على يد العلماء اليهود بما يتفق والتقدم الأخلاقى

---

(١) Modern Jewish Religious Movements, pp. 294-6.
Modern Varietiees of Judaism, p. 56.

والفلسفى فى عصورهم المختلفة • وقد حفظت اليهودية فكرة الالوهية كفكرة دينية رئيسية ، وقدمتها للعالم كله من خلال التوراة والكتابات الأخرى المقدسة (١) •

٢ ـ الاعتراف بأن الكتاب المقدس قد كرس الشعب اليهودى ، وجعل منه كاهنا للاله الواحد ، وأن الاكتشافات العلمية الحديثة فى مجال الطبيعة والتاريخ ليست معادية لتعاليم اليهودية وعقائدها ، والاعتراف بأن الكتاب المقدس يعكس الأفكار البدائية لعصره ، ويقدم عقيدة العناية الالهية والعدالة فى روايات اعجازية (٢) •

٣ ـ الاعتراف بأن التشريع الموسوى نظام لتدريب الشعب اليهودى لتأدية رسالته خلال حياته القومية فى فلسطين وقبول القوانين الأخلاقية منه فقط ، والمراسم التى تقدس وترفع من شأن حياتنا ، ورفض كل مالا يتناسب مع آراء الحضارة المعاصرة وتقاليدها (٣) •

٤ ـ الاعتقاد فى أن كل القوانين الموسوية والربانية . مثل قوانين الطعام والطهارة الكهنوتية والثياب ، كل هذه قد نشأت فى عصور قديمة وتحت تأثير أفكار غريبة على حالتنا الروحية والفكرية المعاصرة ، ولذلك لا يحس اليهودى بروح القداسة الكهنوتية كما تصورها هذه القوانين ، وممارستها فى العصر الحاضر لاتساعد على الرفع من شأن الحالة الروحية للانسان المعاصر (٤) •

٥ ـ الاعتراف بأن العصر الحاضر عصر حضارة عالمية ، وعصر تحقيق أمل اسرائيل الخلاصى فى اقامة مملكة الحق والعدالة والسلام لكل البشر •

---

(١) Declaration of Principles Adopted by a Group of Reform Rabbis at Pittsburgh, 1885 in Year book of the Central Conference of American Rabbis XLV (1935) p. 198-200.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٨ •
(٣) المرجع السابق ص ١٩٩ •
(٤) المرجع السابق ص ١٩٩ •

اليهود ليست أمة ولكنهم جماعة دينية ـ ولهذا السبب لا يجب توقع العودة الى فلسطين ، أو نظام عبادة يديره نسل هارون ، ولا يجب استرداد أى قانون خاص بالدولة اليهودية (١) ٠

٦ ـ اليهودية ديانة تقدمية تحاول أن تكون على اتفاق مع العقل ، ويجب الاحتفاظ بالعلاقة التاريخية التى تربطنا بتراثنا ، وتقدير رسالة المسيحية والاسلام (كأديان نابعة عن اليهودية) فى نشر التوحيد والحقيقة الأخلاقية ٠ الاعتراف بأن الروح الانسانية للعصر حليفنا لانجاز رسالتنا ، ولهذا فنحن نمد يد التعاون الى كل من يتعاون معنا فى اقامة عصر الحقيقة والبر بين الناس (٢) ٠

٧ ـ تأكيد الاعتقاد اليهودى بأن روح الانسان خالدة ، وعدم الاعتراف بالبعث الجسدى ورفض الجنة والنار (٣) ٠

٨ ـ ضرورة الاشتراك فى مهمة العصر الحاضر ، وحل المشاكل الناجمة عن شرور النظام الاجتماعى ٠ وهذا يتفق مع روح التشريع الموسوى الذى يسعى لتنظيم العلاقة بين الغنى والفقير (٤) ٠

وبالاضافة الى هذه القرارات الهامة التى حددت طبيعة الحركة الاصلاحية وعلاقتها باليهودية ، أبدى الاصلاحيون رأيهم فى الحركة الصهيونية ، كما ذكرنا من قبل ٠ ويجدر بنا هنا أن نشير الى أن رفض الاصلاحيين لفكرة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٠ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٠ ٠
(٤) المرجع السابق ص ٢٠٠ وانظر أيضا :
Modern Jewish Religious Movements, pp. 298-301.
وانظر أيضا : Modern Varieties of Judaism pp. 56-59.
وبالعربية : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٥٨ ـ ٦١ ٠
وكذلك : اليهودية ٠ د٠ محمد بحر عبد المجيد ص ١٧٤ ـ ١٧٥

الصهيونية سببه الأول النورة العالمية التى اتسم بها فكر الحركة الاصلاحية، كما يظهر ذلك فى اعترافها بالاديان الأخرى ، والكتب المقدسة لهذه الأديان ، وقبولها للحضارة العالمية ونظرتها الى اليهود كجماعة يمكنها التعايش مع الآخرين .

وكل هذه آراء تعارض النزعة العنصرية التى سادت الفكر الصهيونى ومن أهم الموضوعات التى اختلف عليها الاصلاحيون والصهاينة موضوع طبيعة الخلاص . فالنزعة العالمية التى سيطرت على فكر الاصلاحيين جعلتهم يفسرون الخلاص تفسيرا يتناسب ونظرتهم العالمية ، فأصبح الخلاص عندهم خلاصا عالميا هدفه البشرية ككل ، واعتبروها ديانة عالمية ، وتعارض هذا من ناحية أخرى مع الصهيونية التى اعتبرت اليهودية ديانة قومية . وقد عبر اسحاق وايز عن رأى الاصلاحيين بقوله « أننا يهود بالدين فقط » ، ويقصد من ذلك أن اليهودية كديانة لا يمكن ربطها بأى قومية سياسية . (١) وعلاوة على هذا دعى الاصلاحيون الى المساواة والأخوة العالمية ولعل هذا هو السبب فى أن أمريكا كانت الأرض الخصبة التى ازدهرت فيها حركة الأصلاحيين فقد جسدت أمريكا للاصلاحيين فكرة الخلاص العالمى ، الذى يقوم على المساواة والأخوة بين البشر . ولهذا كانت أمريكا صهيون الاصلاحيين كما أن واشنطن كانت بالنسبة لهم أورشليم تماما كما اعتبر اسلافهم فى المانيا برلين أورشليم الجديدة (٢) .

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى ١٨٩٧م ، وانتصاح الأهداف القومية للصهيونية ، اضطر الاصلاحيون الى تحديد موقفهم من الحركة الصهيونية ووصف اسحاق وايز الصهيونية بأنها من خلق الفطرة ، أو الطبيعة اليهودية الشرقية ، كما مثلها المهاجرون من يهود شرق أوربا الى أمريكا .

ويعنى بهذا أن التفكير الصهيونى لا يخص العقلية اليهودية بشكل

---

(١) Modern Jewish Religious Movements, p. 301.

(٢) Modern Jewish Religious Movements, p. 301.

عام ولكنه من طبيعة اليهود الأوربيين الشرقيين منهم فقط وفى المؤتمر الذى عقده المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكيين فى مدينة « مونتريال » بكندا فى نفس العام الذى انعقد فيه المؤتمر الصهيونى الأول اصدر المجتمعون القرار التالى فيما يختص برأيهم فى الصهيونية : « نحن نرفض على الاطلاق كل محاولة لاقامة دولة يهودية فهذه المحاولات تبين الخطأ فى فهم رسالة اسرائيل التى امتدت من نطاقها السياسى والقومى الضيق الى نشر الدين العالمى الذى أعلنه الانبياء اليهود بين أفراد الجنس البشرى عامة ٠ هذه المحاولات لا تفيد ان لم تضر أخواتنا اليهود الذين يواجهون الاضطهاد ، بتأييدهم افتراض أعدائهم بأنهم أجانب فى البلاد التى اعتبروها موطنا لهم ، والتى هم فيها من أقوى المواطنين ولاء ووطنية » (١) ٠

(جـ) الحركة اليهودية المحافظة :

نجد أن النمط الثالث من الحركات الدينية ـ وهو النمط التجديدى يمثل فى حركتين يهوديتين معاصرتين ٠

الأولى : هى حركة « اليهودية المحافظة » ٠

والثانية : حركة « اعادة بناء اليهودية » ٠

(أ) **اليهودية المحافظة** : حركة معقدة فى تركيبها ، ومع أن اسمها يدل على نمط تقليدى ، وربما كان من الأولى وضعها تحت النمط الأول الا أن مضمون هذه الحركة الباعث على التجديد يجعلنا نضطر لتصنيفها ضمن النمط الثالث ٠ وتعتبر هذه الحركة مرحلة وسط بين الحركتين الأرثوذكسية والاصلاحية فهى تقبل كل المفاهيم الدينية التقليدية ، وتحاول فهمها فهما معاصرا ٠ فهى لذلك تختلط بين القديم والحديث فى محاولة للتوفيق بينهما ٠

وقد كان « اسحاق ليزر (١٨٠٦ ـ ١٧٦٨) أول من نادى بهذه

---

(١) Ibid, p. 302.

الدعوة فى أمريكا وقد عرف ليزر الارثوذكسية بأنها ليست المعارضة الصارمة للتجديد ، ولكنها فى نفس الوقت لا تستسلم لمطالب أصحاب البدع الذين يحاولون أن يجعلوا من الديانة اليهودية شيئا يتغير كل يوم لكى يناسب كل مرحلة تاريخية . ومثل هذا الدين لا يعتبر دينا على الاطلاق طالما أن قاعدته الأساسية عرضة للتغيير الدائم (١) . هذا فى الوقت الذى أعتقد فيه ليزر أن التقدم العصرى ، وتبنى التجديد فى العقيدة مقبول اذا ما أثبت شرعيته . وهذا لا يعد خروجا على الارثوذكسية ثم يوجه نقده الى فريق الاصلاحيين من اليهود بأنهم لا يكتفون بهذه النظرة ولكنهم يرغبون دائما فى

---

(١) Modern Jewish Religious Movements, p. 319.

لقد طور اسحاق ليزر ما يسمى باسرائيل الكاثوليكية وهو يعنى بها أن تكون حلقة الوصل بين يهودية الماضى ويهودية الحاضر وربط الاثنين بتقاليد وتراث متواصل المرجع السابق ص ٣١٩ وقد تلى ليزر فى قيادة المحافظين فى أمريكا سباتو مورياس (١٨٢٣ - ١٨٩٧) واستطاع تأسيس هيئة السيمنار اللاهوتى اليهودى فى ١٨٨٥ م فى نيويورك وكان تأسيس هذه الهيئة رد فعل للموقف الذى اتخذه الاصلاحيون فى أمريكا من ضرورة التغيير الجذرى .

« لقد اتضحت ضرورة بذل الجهود المنظمة من جانب يهود امريكا المخلصين للشريعة الموساوية وتراث الآباء من أجل هدف المحافظة على الروح اليهودية الحقة وذلك على وجه الخصوص عن طريق تأسيس سيمنار لتعليم الكتاب المقدس وشرح الأدب الربانى وحيث يتأسس الشبان الراغبون فى دخول العمل الدينى فى المعرفة اليهودية ويستمدون الالهام من المثل الذى يضربه معلموهم بحبهم اللغة العبرية وتفانيهم واخلاصهم للشريعة اليهودية » .

انظر :

Jewish Theological Seminary Students Annual New York 1914 p. 17.

Nathan Glazer, Aemrican Judaism, The Univ. of Chicago Press, 1957., p. 58.

التغيير والتعديل ، والتبديل الذى لا حدود له ، والذى لا شـــك يضـــر بشكل الديانة اليهودية وطبيعتها • ويحاول أصحاب الحركة المحافظـة فى أمريكا الاحتفاظ بالعادات والتقاليد الدينية اليهودية ولكن فى اطار حديث يتفق وأنماط السلوك الأمريكية • (١) وقد تحدد هدف الحركة على النحـو التـــالى :

١ ــ تنمية اليهودية فى أمريكا ، والتمسك بالتراث اليهودى وضـــرورة استمراريته التاريخية •

٢ ــ تأكيد الولاء للتوراة ، والطاعة لوصاياها ومضمونها التاريخى •

٣ ــ تطبيق قوانين السبت ، والمحافظة على القوانين الخاصة بتحريم بعض أنواع المأكـولات •

٤ ــ الاحتفاظ فى الصلاة بالاشارة الى الماضى الاسرائيلى ، والأمل فى استرداد اســـــرائيل •

٥ ــ الاحتفاظ بالشكل التقليدى للأدب الدينى ، والاحتفاظ باللغة العبريـة كلغة للصـــــلاة •

٦ ــ التأكيد على الحياة الدينية اليهودية داخل المنزل اليهودى •

---

(١) Modern Jewish Religious Movements, p. 319-320.

لقد حدد روبرت جورديس أهداف الحركة المحافظة فى ثلاثة أمور :

أولهـا : استمرار التراث •

وثانيها : الملائمة بين التراث واحتياجات العصر الحديث ومثله •

وثالثها : التكامل الثقافى •

انظـــر :

Marshall Sklare; Conservative Judaism, an American Religious Movement, Schocken Books, N.Y., 1972 p. 126.

٧ ـ تشجيع انشاء المدارس الدينية اليهودية ، واعطاء اللغة العبرية والأدب العبرى مكانة هامة فى برامجها ، كوسائل للفهم الصحيح لليهودية ، وكصلة تربط المجتمعات اليهودية فى العالم (١) ٠

٨ ـ قبول كل العناصر الوفية للديانة اليهودية التقليدية ، ورفض العناصر التى تدعو الى ادخال البدع الدينية التى تغير من شكل اليهودية ورفض كل محاولات الاصلاح التى لا تنبع من داخل اليهودية (٢) ٠

وفيما يتعلق برأى أصحاب الحركة اليهودية المحافظة فى الحركة الصهيونية فقد لقيت الصهيونية بعض التشجيع لأسباب انسانية ، أكثر منها قومية (٣) ، وقد عبر بعض رواد اليهودية المحافظة عن بعض التحفظات ضد صهيونية هرتسل السياسية ٠ فقد اعتقد بعضهم أن الصهيونية حلم رومانسى ٠ وعبر البعض الآخر عن مخاوفه من الأيديولوجية العلمانية التى تسعى الصهيونية لنشرها ، وهذا بطبيعة الحال مناف للنزعة الدينية التى تبنتها الحركة المحافظة ، فقد شعر البعض بأن الطموح الصهيونى الخالى من الأفكار الدينية ربما يتطور الى نزعة قومية متعصبة تهدد الديانة اليهودية (٤) ٠

هذا بالاضافة الى أن الصهيونية السياسية التى تبناها « هرتسل » لم تكن تتفق مع عقلية سولومون شِشتر (١٨٤٧ ـ ١٩١٥) ، وهو المخطط الرئيسى لايديولوجية الحركة المحافظة ٠ فقد آمن « ششتر » بفكرة الوطن القومى اليهودى كمركز اشعاع روحى متأثر فى هذا بأفكار زعيم الصهيونية الروحية « آحادهاعم » ٠

فالوطن اليهودى كما تصوره « ششتر » و « آحادهاعم » ليس ملجأ

---

(١) Modern Jewish Religious Movements, p. 328.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٩ ٠

(٣) المرجع السابق ص ٣٣٤ ٠

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٤ ٠

للمضطهدين من اليهود ، ولكنه مركز حضارى روحى (١) • وقد أصبح « ششتر » فيما بعد من رواد الصهيونية الروحية ، ومزج بينها وبين فكرة القومية لمصلحة الديانة اليهودية •

فقد اعتقد « ششتر » أن الصهيونية تمنع بشكل أو بآخر اندماج اليهود ، وضياع شخصيتهم اليهودية • وهذه فى رأية خطوة فى سبيل رفع الشعور اليهودى لدى العلمانيين من اليهود الذين قد يعودوا الى الديانة اليهودية عن طريق القومية ، أو من خلالها • وفى الوقت الذى يؤيد فيه « ششتر » الصهيونية لم يرفض الحياة اليهودية خارج فلسطين • أو ما يسمى بحياة المنفى ، فقد اعتقد « ششتر » فى أن فلسطين كمركز روحى ستكون بمثابة مصدر للاشعاع الثقافى والدينى ، فتبعث بذلك الروح فى الحياة اليهودية داخل وخارج فلسطين (٢) ـ وهو فى هذا يتفق تماما مع آراء « آحادهاعم » •

وبصفة عامة يحاول أصحاب الحركة المحافظة الجمع بين الصفات التى تجعل من عقيدتهم مذهبا وسطا بين الحركات اليهودية المعاصرة ، فهم يعارضون التعديل المتطرف للطقوس ، والعقائد الدينية ، ويسمحون ببعض التغييرات فى الشريعة اليهودية كالسماح مثلا باشتراك الرجل والمرأة فى الصلاة ، وبعض التغييرات فى نظام الزواج والخطوبة ، وهى تغييرات عارضها الارثوذكس من اليهود • والرأى السائد بين المحافظين هو أن اليهودية قادرة على الاستجابة للتحدى الذى تفرضه المتغيرات الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية ، وقادرة أيضا على تطوير ثقافة دينية عصرية لها طابعها المميز •

(و) حركة اعادة بناء اليهودية :

حركة اعادة بناء اليهودية هى نمط آخر من أنماط الحركات الدينية

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣٥ •

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٥ •

التجديدية ، وهى حركة يهودية أمريكية دعى اليها « موردخاى كابلان » عام ١٩٣٤ م ، ولها اتباع بين المحافظين الاصلاحيين والعلمانيين الذين لايتبعون حركة بذاتها • وحركة اعادة بناء اليهودية تطورت عن حركة اليهودية المحافظة• فقد كان مؤسسها «موردخاى كابلان» من اليهود المحافظين قبل أن يكون حركته الجديدة • ودعوة كابلان هى أن اليهودية ليست مجرد ديانة يعتقد فيها ، ولكنها حضارة دينية وهذا تعريف أشمل للديانة ايهودية ، وكحضـــارة دينية تشمل اليهودية التاريخ والأدب واللغة والنظام الاجتماعى ، والأخلاق والمبادىء الروحية والاجتماعية والاهتمامات الفنية الذوقية ، والتراث الشعبى الى آخره من المظاهر الحضارية المختلفة (١) •

ووجه « كابلان » دعوته الى التوفيق بين متطلبات الحياة الأمريكية والولاء لهذه الحضارة الدينية اليهودية ، فعلى اليهودى فى أمريكا أن يؤمن بالمبادىء العامة ، والأسلوب الحضارى الأمريكى ، وأن يكون وفيا فى نفس الوقت للدستور الأمريكى ، وبالاضافة الى هذا يجب عليه أن يساهم بنشاط مع غيره من اليهود فى كل جوانب الحضارة اليهودية (٢) •

ويمكن حصر مبادىء حركة اعادة بناء اليهودية فى النقاط التالية :

١ ـ أن اليهودية التى وجدت اليهود عبر العصور ليست فقط ديانة ولكنها حضارة دينية (٣) •

٢ ـ أنه على اليهودى أن يتعلم كيف يجمع بين الحياة فى حضارته التاريخية وحضارة البيئة التى يعيش فيها •

---

(١) Mordecai M. Kaplan, Judaism as a Civilization, Toward a Reconstruction of American — Jewish Life, Schocken Books, N.Y., 1967, p. 482, 507-8.

(٢) المرجع السابق ص ٢١٦ ـ ٢١٧ •

(٣) المرجع السابق ص ١٨٦ •

٣ ـ أن الوحدة اليهودية تفوق الاختلاف والتنوع بين الجماعات اليهودية والناتج عن اختلاف بيئاتهم الجغرافية ، وخلفياتهم الثقافية (١) ٠

٤ ـ تجديد الميثاق القديم الذى وحد بين اليهود قديما ، والذى يجب أن يوجد الآن بين يهود اسرائيل ويهود العالم ٠

٥ ـ أن ارض اسرائيل هى الوطن الروحى للعالم اليهودى ، ومقر حضارته التـــاريخية (٢) ٠

٦ ـ على اليهود خارج اسرائيل تكوين مجتمعات عضوية تعمل على تأكيد القومية اليهودية والدين والثقافة ٠

٧ ـ ضرورة بعث الروح الدينية من خلال الدراسة الحرة ، وفصل الدولة عن الديـــن ٠

٨ ـ ان بعث الديانة اليهودية يتطلب تفسير معنى الالوهية تفسيرا عاليا وفى ضوء التجربة اليهودية ٠

٩ ـ أن استمرار الدين يتم بالمحافظة على مقدساته من نصوص ، واحداث تاريخية وأبطال وأماكن عبادة وأعياد ٠

١٠ ـ أن التوراة والحضارة الدينية اليهودية شىء واحد ، ولهذا فهى تتضمن كل التجارب الاخلاقية والثقافية والروحية للشعب اليهودى (٣) ٠

وهكذا تؤكد حركة اعادة بناء اليهودية على أن الدين صفة موروثة فى مادة الحضارة ولذلك لا يمكن فصل الدين عن الحضارة ، على الرغم من أن الحضارة تشمل عناصر كثيرة غير دينية ٠ ودعوة « كابلان » فى أساسها

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٤ ٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٣ ٠

(٣) The Reconstructionist, Vol. No. 17, 1964, p. 32.

دعوة الى احترام الطقوس الدينية التقليدية ، والأسلوب الحضارى للحياة اليهودية ، وقبول التنوع فى الفكر الدينى ، وتوسيع مفهوم التوراة ليشمل الثقافة الاخلاقية واثراء الحياة الدينية وتنمية الابداع الفنى الجمالى · ومن الواضح أيضا الميول الصهيونية لهذه الحركة ، وان اتخذت خطا يوافق فكر الصهيونية الروحية ، واعتبار أرض اسرائيل مركزا روحيا للحياة اليهودية فى العالم ·

***

٣ ـ موقف الحركة الصهيونية :

يتضح من العرض السابق للحركات الدينية المعاصرة فى اليهودية أن كل حركة من هذه الحركات اتبعت نمطا معينا من أنماط الحركات الدينية بين أرثوذكسية وأصلاحية وتجديدية ، ويعنى هذا أن هذه الحركات تعبر عن اتجاه خاص ، أو منهج خاص فى فهم الديانة اليهودية ، وطبيعة الحياة اليهودية · كما وضعت كل منها نظاما دينيا خاصا بها مشتقا من اليهودية ، ولكنه يعبر عن الرؤية الخاصة لكل حركة ·

واذا حاولنا مقارنة هذه الحركات الدينية اليهودية بالحركة الصهيونية لوجدنا أنه لا مجال للمقارنة من الناحية الدينية · فالحركة الصهيونية بحكم طبيعتها السياسية لم تأت ببرنامج دينى يجبرنا على تصنيفها بين الحركات الدينية السابقة الذكر ، كما أنها لم تبد رأيا فى طبيعة الديانة اليهودية وفى عقائدها الدينية المختلفة باستثناء عقيدة المسيح المخلص · هذا بالاضافة الى أن الصهيونية لا تمثل أيا من الاتجاهات التى تحكمت فى الحركات الدينية كالاتجاه المحافظ أو الاصلاحى أو التجديدى ·

فالحركة الصهيونية لم تحاول الدعوة الى المحافظة على القديم فى اليهودية أو ادخال اصلاحات عليها ، أو تجديدها وكل هذه الأدلة توضح أن الحركة الصهيونية حركة سياسية بحته ، وان العنصر الدينى فيها عنصر غير أصيل استخدمه الصهاينة لخدمة الحركة ، وتسهيل مهمتها بين

الأوساط الدينية اليهودية لتحضها على الانضمام الى الحركة ، والتعاطف معها ومساعدتها على تنفيذ مخططاتها • ولهذا يصيب المؤرخون للحركات الدينية اليهودية فى عدم ضمهم للحركة الصهيونية بين الحركات الدينية اليهودية المعاصرة ، وذلك لعدم مطابقتها لأوصاف وطبيعة الحركة الدينية التى تضع لنفسها برنامجا دينيا محددا قائما على رؤية دينية خاصة ، وان كانت الفكرة الأساسية التى اعتمدت عليها الصهيونية فكرة دينية تلقت تفسيرا علمانيا على يد رواد الفكر الصهيونى •

هذا الى جانب أن فكرة الخلاص ما هى الا واحدة من بين عشرات العناصر التى تتكون منها العقيدة اليهودية ، والتى لم يعرض لها الفكر الصهيونى ، أو يتخذ منها موقفا • وبالاضافة الى الأدلة السابقة التى تحاول بها اثبات علمانية الحركة الصهيونية نجد أن كل حركة دينية لها آراؤها السياسية فى الشؤون اليهودية عامة •

وقد اختلفت هذه الآراء حسب الرؤية الدينية ، والفلسفة العامة التى تتحكم فى كل حركة • ولأن الفكر السياسى كثيرا ما ينضم تحت لواء الفكر الدينى فان هذه الحركات الدينية قد عبرت عن رأيها السياسى فى المشكلة اليهودية ووسائل علاجها ، بل واضطرت هذه الحركات الى ابداء رأيها فى الحركة الصهيونية ، واتخاذ موقف منها •

والنتيجة التى نخرج بها من هذا التحليل أن الصهيونية لم تكن ضرورة تاريخية بالقدر الذى يصورها بها مفكروها • فالمشكلة اليهودية قد عولجت بشكل أو بآخر داخل اطار الحركات الدينية اليهودية ، ويمكن القول بأن كل ما فعلته الصهيونية هو عزلها للمشكلة اليهودية ، وتركيزها على هذا الموضوع دون غيره ، وجعلت منه هدفا لها بوازع من الحركات القومية المعاصرة للصهيونية • وقد أدى هذا العزل للمشكلة اليهودية الى اثارة ردود الفعل المختلفة من قبل الحركات الدينية اليهودية بين معارض للصهيونية ومناصر لها •

ولو حدث أن ركزت احدى هذه الحركات الدينية على ما يسمى بالمشكلة

اليهودية لما كانت هناك حاجة الى الصهيونية والدليل على هذا أن الكثيرين من مؤيدى الصهيونية قد هجروها ، بعد أن رأوا أنها قد حققت هدفها بانشاء دولة اسرائيل ولم يعد لها درر معروف تقوم به فى حياة الشعب اليهودى . ويعنى هذا أن الصهيونية كحركة سياسية عرضة للزوال فى الوقت الذى ستظل فيه الحركات الدينية اليهودية تمارس سيادتها على القطاعات المختلفة من الجماعات اليهودية فى العالم .

الباب الثالث

الايديولوجيـــات

الفصل الأول

الصهيونية السياسية

الصهيونية السياسية هى أحدى المذاهب الايديولوجية التى تطورت عن فكرة الصهيونية ، وقد كان ظهور الصهيونية السياسية رد فعل مباشر لاحداث الاضطهاد التى تعرضت لها الجماعات اليهودية فى روسيا . فبعد اغتيال القيصر الاسكندر الثانى فى عام ١٨٨١م اجتاحت روسيا موجة من الاضطهادات ضد اليهود الذين اتهموا بقتل القيصر ، وقد شاع بين الاوساط اليهودية أن الاضطهادات والمذابح التى وقعت الجماعة اليهودية فى روسيا ضحية لها تمت بمعرفة الحكومة الروسية وبدون تدخل منها لحماية اليهود . كما اتهمت هذه الأوساط اليهودية جماعة المثقفين فى روسيا بالسلبية التامة ، وعدم تصديهم لهذه الاحداث ، بل وجهت اليهم أيضا تهمة السلبية المقصودة ، حيث توقع هؤلاء المثقفون أن يحدث هذا تغيرا اجتماعيا فى صالح العمال والفلاحين الروس على اثر التخلص من الجماعة اليهودية (١) . ولهذا فهم لم يعترضوا على ما وقع من شعبهم وحكومتهم ضد اليهود متوقعين أن ينتهى الاستغلال اليهودى لطبقات الفلاحين والعمال ، بل رأى بعضهم أن الهجوم على اليهود هو أول خطوة ضرورية فى سبيل الثورة (٢) .

ونتيجة لهذه الأحداث بدأت مجموعات من السكان اليهود تفكر فى الهجرة ، واتجه بعضهم الى دول أوربا الغربية ، كما كانت الولايات المتحدة الأمريكية وجهة الكثيرين منهم فى الفترة بين عام ١٨٨١ وعام ١٩١٤ . وبينما هاجر البعض آثر البعض الآخر البقاء ـ آملين فى الاصلاح القريب .

---

(١) The Zionist Idea, p. 41.

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ .

غير أن المثقفين من يهود روسيا اعتقدوا أن الهجرة لن تحل مشكلة يهود روسيا ظنا منهم أن كراهية اليهود ليست محدودة فى روسيا ، ولكنها موجودة خارج روسيا ، والهجرة الى البلاد الصديقة قد تكون حلا مؤقتا للاضطهادات الحالية ، ولكنها فى رأى هؤلاء المثقفين لم تكن حلا شافيا لما أسموه بالمشكلة اليهودية ، ولهذا نجد الزعيم اليهودى « ليلينبلوم » يغير من وجهة نظره السابقة ، والتى كانت تؤيد فكرة أندماج الانسان اليهودى فى المجتمع الغربى اندماجا كليا ، كوسيلة للحصول على الحرية . الا أن أحداث الاضطهاد الروسى المفاجىء جعلت « ليلنبلوم » الذى كان اشتراكيا يعيد النظر فى تفكيره الخاص بالفكر الثورى الذى تبناه . فقد أكدت له هذه الأحداث أن الثورة الروسية لن تحقق حرية اليهود المنتظرة ، وأنقلب بهذا من يهودى مندمج الى صهيونى سياسى ينادى بفكرة الوطن القومى لليهود .

١ ـ ليوبنسكر والتحرر الذاتى :

وقد أدت هذه الأحداث أيضا الى بداية تحليل ظاهرة المعاداة للسامية التى اتخذتها القيادات اليهودية ذريعة فصلت بها بين الجماعات اليهودية والمجتمعات المسيحية التى كانت تعيش بينها ، وطورت على أساسها فكرة انشاء الوطن اليهودى . ومن أول المفكرين الصهاينة الذين تناولوا ظاهرة المعاداة للسامية بالتحليل « ليوبنسكر » الذى فسر المعاداة للسامية على أنها ظاهرة مرضية وعقدة نفسية دائمة أصيب بها الانسان الأوربى المسيحى . وهى ليست فقط ظاهرة اجتماعية أو اقتصادية ، كما اعتقد الكثيرون (١) .

---

(١) يغلب على تحليل بنسكر للمعاداة للسامية استخدام الاطر والتعريفات والتحليل الذى يؤكد غلبة لغة المصطلحات العلمية الجارية على أسلوب بنسكر فهو يعتبر اليهود كيانا بيولوجيا وجنسا لا يمكن اندماجه ، وهذا الكيان كيان شاذ ، ولهذا فهو يسبب الخوف بين غير اليهود . والمعاداة للسامية عنده حالة مرضية وعلاج هذا المرض هو تصحيح وضع العلاقات اليهودية بغير اليهود . وهكذا فتحليله تحليل بيولوجى سيكولوجى للظاهرة فى مقابل المصطلحات السياسية التى ميزت أسلوب تيودور هرتسل .

فالمعاداة للسامية فى رأى « بنســكر » هى كراهية الغريب ، وطالما ان اليهود أقلية فى كل مكان يعيشون فيه ، فهم كالأشباح المطاردين فى كل مكان ، وغرباء على كل الشعوب التى تكره بطبيعتها كل ما هو أجنبى عليها ولهذا فالسبب الأول فى كراهية اليهود هو أنهم لا ينتمون الى الأوطان التى يعيشون فيها ، ومن ثم فهم عنصر غــير مرغوب فيه ، حتى لو حاولت الجماعات اليهودية تغيير أوضاعها داخل هذه المجتمعات ، فالتغيير اليهودى لن يجلب رضى الأغلبية ، وبهذا يؤكد « بنسكر » أن اليهود أجانب على المجتمعات التى يعيشون فيها ، وأن حلم اندماجهم فى هذه المجتمعات لا يمكن تحقيقه . وهذا فى رأيه ليس مرجعه أن اليهود غير قادرين على الاندماج ، ولكن لان الاغلبية لن تسمح لهم بذلك .

وعلى هذا فالحل الذى يقترحه « بنسكر » هو نقل اليهود ، وتهجيرهم من أماكنهم الى قطعة أرض يملكونها ، فيصبحوا أمة طبيعية ، ويتغير هذا الوضع غير الطبيعى فى رأى « بنسكر » ويجب أن نلاحظ أن بنسكر لــم يصر على أن هذه الأرض التى يتحدث عنها هى أرض فلسطين بالذات (١) ، ولكنه اقترح أرضا تلاءم الاستيطان الحالى لليهود ، كجزء من القارة الأمريكية مثلا ، حيث يستطيع اليهود أن يتموا تحررهم ، ويظهر من هذا تأثر «بنسكر» بالافكار التحررية التى ترى مبدأ التحرر اليهودى أساسا لحل المشكلــة اليهودية ، كما يظهر هذا فى رغبة « بنسكر » فى قبول اليهود على قــدم المساواة فى العالم مع غيرهم من الشعوب . وهى فكرة ترجع أصولها الــى مبادىء المساواة التى بثتها الثورة الفرنسية .

وقد عبر « ليوبنسكر » عن آرائه الصهيونية فى مقال بعنوان **التحرر الذاتى : نداء من يهودى روسى الى شعبه** ، ويعتبر هذا العمل من الأعمــال الكلاسيكية فى فكرة الصهيونية . وهو يقترب فى أهميته من كتاب « هرتسل » **الدولة اليهودية** ، وكتاب **روما وأورشليم** « لموشى هس » (٢) ومن أهم الاراء

---

(١) Samuel Ettinger, «Hibbat Zion» in, Zionism, Keter Pub. House, Jerusalem, 1973, p. 15.

(٢) Modern Jewish History, a Source Reader, p. 160.

التى وضعها بنسكر فى مقاله أن المشكلة اليهودية ليست مجرد مشكلة نظرية ، ولكنها مشكلة عملية فى حاجة الى حل حاسم • والجانب النظرى من المشكلة هو أن اليهود يكونون عنصرا متميزا داخل المجتمعات التى يعيشون بينها ، وهم على هذا الأساس لا يستطيعون الاندماج فى هذه المجتمعات ، كما أن هذه المجتمعات ليست مستعدة لقبولهم فى نفس الوقت (١) •

ولهذا فالحل ينحصر فى ايجاد وسيلة لوضع هذا العنصر المتميز بين أمم العالم بطريقة لا تسمح بالحديث عن مشكلة يهودية مرة أخرى • ويتهم بنسكر أمم العالم بأنها لا تطبق مبدأ المساواة فى معاملتها لليهود ، فكل الشعوب تعيش فى سلام نسبى ، تضمنه المعاهدات والقوانين الدولية ، والايمان بالمساواة بين الشعوب ، أما الشعب اليهودى فهو لا يتمتع بهذه المساواة ، لأن الاحترام المتبادل مفقود بينه وبين الشعوب الأخرى ، ولا توجد معاهدات أو قوانين تحمى علاقاته ببقية الشعوب (٢) • والسبب أن هذا الشعب لا يشترك فى عادات وتقاليد متماثلة ، وان الأمم تعاملهم كيهود وليس كشعب أو أمة •

وفى رأى « بنسكر » أن العالم يكره الاشباح ، وهى كراهية طبيعية ، واليهود هم أشباح العالم • ولذلك كرهتهم الشعوب جيلا بعد جيل الى أن أصبحت هذه الكراهية مرضا مزمنا ، مع مرور القرن تشترك فيه الانسانية كلها • وهى وهم نفسى ورثته الشعوب ، ومرض انتقلت عدواه من شعب الى آخر دون علاج على مدى عشرين قرنا • (٣) ويقول بنسكر فى هذا المقال أن الكثيرين ، من الأصدقاء والأعداء على السواء ، حاولوا تبرير هذه الظاهرة بتوجيه الاتهامات الى اليهود ، فنسب اليهم البعض قتل السيد

---

(١) Leo Pinsker, «Auto — Emaneiptim : An Appeal to his people by a Russian Jew» in Modern Jewish Hitory a Source Reader, p. 161.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٣ •

(٣) المصدر السابق ص ١٦٤ •

المسيح عليه السلام ، وشربهم لدم المسيحيين ، وتسميمهم آبار المياه ، وأخذهم الربا ، واستغلالهم الفلاح • وفى رأى بنسكر أن كل هذه الاتهامات لا صحة لها ، وأنها اخترعت لتبرير كراهية اليهود ، وضرورة حرق اليهودى أو الشبح اليهودى • ويعترف بنسكر أن اليهود أرتكبوا بعض الأخطاء ، ولكنها ليست أخطاء أو جرائم خطيرة تستدعى هذه الكراهية العامة للشعب اليهودى كلية (١) •

وعلى هذا يرى بنسكر أن اليهودية والمعاداة للسامية تعيشان جنبا الى جنب منذ قرون بعيدة عبر التاريخ • ولهذا فالمعاداة للسامية لن تموت طالما كان هناك وجود لليهودية ولليهود • ويقول بنسكر ساخرا أن من يدعى أن الشعب اليهودى ليس شعب الله المختار ، فهو أعمى • فهذا الشعب مختار للكهراهية العالمية من كل الشعوب التى تختلف فيما بينها كثيرا ، ولكنها تتفق على شىء واحد هو كراهية اليهود (٢) • وتختلف هذه الكراهية مع اختلاف المكانة الثقافية لهذه الشعوب ، فى أحيانا تظهر فى شكل الحقد على اليهود أو العنف الموجه ضدهم أو فى شكل التسامح المغرض ، والحماية الواهية • فلا فرق بين أن يتعرض للسرقة ، أو أن يكون محميا ، فكلاهما فى رأى بنسكر فيه اذلال وتدمير للشخصية اليهودية •

كراهية اليهود اذن أمر وراثى أشبه بكراهية الشيطان ، والمعاداة للسامية تشكل وهما موروثا من أوهام العقل البشرى (٣) • ولهذا لا يجب فى رأى بنسكر التنديد بهذه الامراض ، فهى أشبه بالعواطف أو الغرائز التى يرثها الانسان ، ولا يستطيع تغييرها • ولهذا فالدفاع ضدها لاجدوى منه ، بل هو تضييع للوقت والمجهود • فالتعصب أو الشر الغريزى لا تحركه قوى عقلية ، بل هو قوة عمياء يجب تجنبها •

يخرج بنسكر من هذا التحليل بأن جذور الكراهية والتعصب ضد

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٤ •
(٢) المصدر السابق ص ١٦٤ •
(٣) المرجع السابق ص ١٦٥ •

اليهود جذور ثابتة فى النفسية الانسانية • وهناك أسباب أخرى يمكن اضافتها الى هذا العامل الرئيسى منها ، أنه لايوجد شعب يحب الاجانب ، وهذا ليس اتهاما من الناحية الجنسية • ولكن هل اليهودى خاضع لهذا القانون العام كما تخضع له الشعوب الأخرى ؟ يجيب بنسكر على هذا السؤال بالنفى • ففى رأيه أن الحق الذى يتمتع به أفراد الشعوب الأخرى لا يتمتع به اليهودى ، فهو من ناحية ليس مواطنا اصيلا فى البلد الذى يعيش فيه ، كما أنه ليس أجنبيا فى نفس الوقت • وبهذا فقد حقوق المواطن وحقوق الأجنبى ، وهو ليس بعدو كما أنه ليس صديقا ، بل يذهب بنسكر الى أبعد من هذا ، فيعتبر اليهودى شحاذا ولاجئا ، لا مأوى له (١) •

ومن هنا كان الوضع الغريب لليهودى فى رأى بنسكر • فالقانون العام لا يطبق على اليهود كأجانب ، ولكن هناك قوانين خاصة باليهود فحسب • ويقرن بنسكر بين وضع اليهود ، ووضع الزنوج والنساء ، فكلهم فى حاجة الى التحرر • وقد كان التحرر الشرعى لليهود أهم انجاز للقرن الماضى ، الا أن هذا التحرر فى رأى بنسكر لم يكن تحررا اجتماعيا • اذ أنه لم يخلص اليهودى من وضعه الاجتماعى المهين ، علىحد تعبير « بنسكر » (٢) •

واذا كان هذا التحرر مطلوبا كغرض منطقى أو قانونى ، أو كرغبة أو أهتمام ثقافى حضارى ، الا أنه لن يكون بأى حال من الاحوال تعبيرا عن شعور انسانى طبيعى وسواء أكان هذا التحرر نتيجة شعور تلقائى ، أو لدوافع مقصودة ، فهو ليس أكثر من زكاة موجهة الى انسان فقير ، أو شحاذ متواضع ، يمكن أخذها منه فى أى وقت طالما أنه يعتمد على غير اليهودى (٣) • ويلخص بنسكر وضع اليهودى فى العالم على النحو التالى :

« اليهودى الحى جثة فهو عند المواطن الاصلى أجنبى ، وعند أصحاب الاملاك شحاذ ، وعند الفقير هو مستغل ومليونير ، وعند الوطنى هو انسان

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٥ •
(٢) المرجع السابق ص ١٦٦ •
(٣) المرجع السابق ص ١٦٦ •

بلا وطن • وهو للجميع منافس مكروه » هذه العداوة الطبيعية كانت السبب في عديد من الاتهامات ، وكانت عامـلا من عوامل سـوء الفهم بين اليهود والشعوب • وهنا يتهم بنسكر اليهود بالغباوة « لانهم ينتظرون من الطبيعة الانسانية شيئا لم تنتجه وهو الانسانية » (١) ، ويرميهم بالازدراء لانهم لا يملكون احتراما وتقديرا لانفسهم ، أو احساسا ذاتيا بقوميتهم كما أنه يوجه نقده الى عقيدة المسيح المخلص التى دان بها اليهود ، ويعتقد أنهـا كانت سببا من أسباب تواكل اليهود وأهمالهم لمصيـرهم حيث يقـول : « وبالاضافة الى هذا فالاعتقاد فى المسيح المخلص ، وفى تدخل قوة الهية لكى تحقق لنـا البعث السـياسى ، وكذلك الافتـراض الدينى بأنه يجب أن نتحمل صـابرين العقـاب الالهى ، كل هذا أدى بنـا الى هجـر كل فكرة تتعلق بتحررنا القومى ، وبالوحدة والاستقلال • وبالتالى فقد تركنا فكرة القومية وأنشغلنا بحاجاتنا الحالية » (٢) •

واذا كان هذا هو حال الانسانية ، كما يراه « بنسكر » ، واذا كان تعصب الانسانية ضد اليهود يقوم على مبادىء انثروبولوجية واجتماعية غريزية لا يمكن استئصالها ، أذن لا ضرورة فى رأى بنسكر من « انتظـار التقدم البطىء للانسانية • لا يجب على اليهودى أن يفكر فى المساواة مـع غيره ، ولا يجب عليه أن ينتظر حتى توحد الاخوة الانسانية شعوب الارض » • وأن الوقت قد حان للتفكير الجاد فى أن « الشعوب الاخرى سترفضنا دائما كيهود بسبب العداوة الطبيعية الموروثة • فالجنس البشرى لم يصل بعـد الى المرحلة الاولى من الكمال فى السلوك الانسانى ، ويجب أن ننسى أيضا الوهم القائل بأننا ننجز بتشتتنا رسالة الهية » (٣) •

وهنا يقرر بنسكر مطلبه الرئيسى فى هذا النداء ـ الذى يوجهه الى يهود العالم : « يجب أن نبحث عن خلاصنا فى استرداد روابطنا القومية » ثم يؤكد

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٦ •
(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ •
(٣) المصدر السابق ص ١٧١ •

هذا النداء بأن لليهود الحق فى ذلك ، ولهم الحق أيضا فى مطالبة بقية الشعوب بالمساعدة فى تحقيق هذه الرغبة • فهذه الشعوب عليها أن تساعدنا اذا أرادت التخلص منا ويؤكد أيضا أن ما يسميه بالمشكلة اليهودية ، يجب أن يصبح موضوعا من موضوعات السياسة الدولية • ثم يوجـــه اتهامه الى الشعب والحكومة الروسية ، ويؤكد أنها المسؤولة عن آلام اليهود • فالشعب الروسى، فى رأيه ، شعب متخلف ثقافيا ، والتعصب ضد اليهود لايوجد فقط بين أفراد الشعب المتخلف ثقافيا ، ولكن أيضا بين مجموعة المثقفين ، وبين رجـــال الصحافة كذلك • ومن هنا لا أمل فى الاصلاح ، ولذلك نادى بنسكر بـ :

١ ـ ضرورة البحث عن وطن خاص لليهود (١) •

٢ ـ ضرورة بداية الهجرة المنظمة ، وتجنب الاخطاء التى وقعت فيها الهجرات الروسية والرومانية السابقة (٢) •

٣ ـ أنه اذا تم الحصول على وطن آمن ، وتوقفت حيـــاة التشتت اليهودية ، وحصل اليهود على كرامتهم المفقودة ، لاضرورة اذن من « استرداد أرض يهوذا القديمة » أو الارتباط بالمكان الذى انقطعت فيه الحياة السياسية لليهود • فالهدف الرئيسى الحالى ليس الارض المقدسة » ولكن أرض لليهود يعيشون فيها ويمتلكونها (٣) ففى رأى بنسكر أن التوراة وفكرة الله هى التى جعلت الارض المقدسة مقدسة ، أى أن القدس أو الاردن أصبحت بلادًا مقدسة بسبب التوراة وفكرة الله (٤) • وفى نفس الوقت لايرفض بنسكر أن تكون الارض المقدسة لليهود ، ولكنه يقبل أى أرض تقدم لليهود لكى تكون وطنا لهم، فهذا سيحقق المطالب اليهودية •

ويضع « بنسكر » أفكاره الصهيونية والبرنامج السياسى لتنفيذها فى النظام التالى :

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٣ •
(٢) المرجع السابق ص ١٧٣ •
(٣) المرجع السابق ص ١٧٣ •
(٤) المرجع السابق ص ١٧٤ •

١ ـ أن اليهود أجانب فى كل مكان ، ولهذا السبب فهم محتقرون ٠

٢ ـ ان التحرير المدنى والسياسى لليهود غير كاف لرفع مكانتهم بين الشعوب ٠

٣ ـ الحل الوحيد هو خلق قومية يهودية من شعب يعيش على أرض يملكها ، اذ لابد من التحرر الذاتى لليهود ، وعودتهم الى مصاف الشعوب عن طريق حصولهم على الارض (١) ٠

٤ ـ لا يجب الاعتقاد فى أن الانسانية أو التنوير ستقدم علاجا لحالة الشعب اليهودى ٠

٥ ـ أن فقد ان التقدير القومى ، والثقة فى النفس والوحدة السياسية هم أعداء البعث القومى لليهود ٠

٦ ـ يجب ألا نعيش حياة التشتت والتجوال مرة أخرى ، بل يجب أن يكون لليهود مركز يلتفون حوله ٠

٧ ـ أن الوقت الحالى هو أنسب الاوقات لتحقيق هذه الخطة ٠

٨ ـ أن المشكلة الدولية اليهودية ـ لابد لها من حل دولى ، ولابد من اتخاذ الخطوة الاولى فى هذا المجال (٢) ٠

٩ ـ أن البعث القومى لليهود يجب أن يبدأ على يد مجلس من مشاهير اليهود واغنيائهم ٠

١٠ـ يجب الاستعداد للتضحية من أجل هذا الهدف مهما بلغت تكاليفه ٠

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٤ ٠

(٢) المرجع السابق ص ١٧٤ ٠

١١ ـ أن التمويل المادى لهذا المشروع لايجب أن يمثل مشكلة (١) ٠

وهكذا يضع « بنسكر » الاسس الاولى للفكر الصهيونى السياسى ، فهو لم يقدم فقط أفكارا نظرية عن الصهيونية ، ولكنه كان أيضا أول من يضع خطة واضحة لتنفيذ فكرة انشـــاء الوطن القومى ، وأول من يطالب بعرض المشكلة اليهودية كمشكلة سياسية دولية ونظرا لهذه الافكار التى أثرت فى فكر وعمل زعماء الصهيونية السياسيين بعد « بنسكر » ، وبخاصة « تيودور هرتسل » ، يعتبر « بنسكر » رائدا للفكر الصهيونى السياسى ، وتحتل مقالته **التحرر الذاتى** مكانة هامة فى الأدب السياسى الصهيونى ٠

٢ ـ تيودور هرتسل « والدولة اليهودية » :

فى عام ١٨٩٦ م نشر « هرتسل » كتابه المشهور **الدولة اليهودية** ، الذى ناقش فيه المشكلة اليهودية ، والوسائل التى يراها مناسبة لعلاجها ٠ ويعتبر هذا الكتاب الاساس الذى بنيت عليه الصهيونية السياسية ٠ فقد عرف « هرتسل » اليهود فى هذا الكتاب على أنهم شعب لايمكنه الاندماج فى الشعوب الأخرى ٠ ولهذا فالعلاج الوحيد لمشكلتهم هو أقامة دولة يهودية ، تحميها المعاهدات الدولية ٠ وهو بهذا يعنى أن المشكلة اليهودية مشـكلة سياسية دولية ولذلك لابد من طرحها أمام الرأى العالمى ، وحلها بالوسائل السياسية ٠ ونظرا للاهمية البالغة التى يحتلها كتاب **الدولة اليهودية** فى الفكر الصهيونى السياسى ، بل وفى الفكر الصهيونى عامة ، نرى ضـرورة دراسته ، وتحليل مادته وتوضيح أهم عناصرها التى أثـــرت على تطور الصهيونية من مجرد فكرة فى عقول بعض الشخصيات اليهودية السابقة على ظهور «هرتسل» الى فكرة عملية ، يمكن تحقيقها بالعمل السياسى والمجهود الدبلوماسى كما توقع « هرتسل » ٠

يقدم « هرتسل » لكتابه برأيه فى أن الفكرة التى يحاول تطويرها ، وبلورتها فى كتابه فكرة قديمة فى التاريخ اليهودى ٠ وهذه الفكرة هى استرداد

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٤ ٠

واعادة بناء الدولة اليهودية · وعلى حد تعبير « هرتسل » ، أنه لم يكتشف شيئا جديدا لم يكن معروفا من قبل فى تاريخ اليهود · فالوضع اليهودى الذى يحاول وضع علاج وحل نهائى له وضع قديم بدأ منذ فقدت الجماعة اليهودية دولتها القديمة ، كما ان المادة التى يبنى عليها فكرته مادة ملموسة وموجودة فى الواقع اليهودى (١) ·

وعلى هذه الاسس فالفكرة التى يعرضها كما يقول « هرتسل » ليست فكرة خيالية ، كما أنها لاتنتمى الى تلك الافكار المثالية ، التى تظهر بين الحين والآخر فى الفكر الانسانى · المحاولة كما يصفها « هرتسل » هى محاولة بناءة تعتمد على قوة دافعة لها وجود حقيقى فى الواقع ، وهذه القوة الدافعة ذات الوجود الحى هى « مأساة اليهود » (٢) ·

يعرب « هرتسل » أيضا فى مقدمة كتابه عن أعتقاده فى أنه قادر على انجاز هذه الفكرة ، على الرغم من اعترافه بأنه لا يعرف الشكل الذى ستكون عليه الدولة اليهودية ·

فالعالم فى رأى « هرتسل » فى حاجة الى الدولة اليهودية ، واذا كان الامر كذلك ، فلابد لهذه الدولة من الظهور · ثم يؤكد « هرتسل » أن فكرة انشاء الدولة اليهودية قد تكون فكرة غير مقبولة عقليا اذا ما قرر القيام بها فرد واحد ، ولكن اذا اتفق اليهود عليها ، فالفكرة ممكنة التحقيق ، وانجازها لا يمثل صعوبة كبيرة وفى نهاية المقدمة يذكر « هرتسل » أنه مع نشر فكرته هذه وذيوعها بين اليهود ، تكون رسالته قد أنتهت · ثم يطرح فى النهاية عددا من الاسئلة عما اذا كانت فكرته بعيدة عن الحقيقة ، أو أن كان هـــو شخصيا بفكرته هذه سابقا لزمانه ، أم أن المأساة اليهودية ليست بالحدة التى يتصورها هو (٣) ·

---

(١) Theodor Herzl «The Jewish State» in the Zionist Idea. pp. 204-226.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٥ ·

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ·

يتعرض « هرتسل » بعد ذلك فى الفصل الاول للكتاب ـ لمشكلة تمس طبيعة الحياة اليهودية ، وهى مشكلة طالما أثارتها فى رأيه الجماعات المعادية للسامية ، وهى أن الجماعة اليهودية فى كل مكان لاترغب فى العمل اليدوى ، بل هى لا تصلح له ٠

ولهذا ادعى المعادون للسامية أن اليهود يعتمدون على الامم التى يعيشون بينها فى كل شىء بابتعادهم عن العمل اليدوى الزراعى أو الصناعى ٠ ولهذا فهم ، أى اليهود ، يعيشون عالة على الامم ، وضيوفا عليها ، وانه اذا لم تكون هناك أمة مضيفة فسيموت اليهود جوعا ٠ ولا يحاول « هرتسل » أن يدافع عن هذا الاتهام اذ لاجدوى من الدفاع فى رأيه ، ولذلك فهو يقدم على عرض المشكلة كما يتصورها فيقول أن المشكلة اليهودية أثر من بقايا العصور الوسطى ، وقد فشلت الامم المتحضرة فى علاجها ٠ وقد أثبتت هذه الامم أنها قادرة بالفعل على علاج المشكلة اليهودية عندما حررت اليهود ، بالطبع يشير هنا الى ما فعلته الثورة الفرنسية من تحريرها لليهود ، ومنحهم لحق المواطنة٠ ولكن هذا التحرير الذى ناله اليهود لم يكن كافيا ٠ فالمشكلة اليهودية لازالت قائمة ، وأنها تظهر فى أى مكان يعيش فيه اليهود أغلبية كبيرة ، وحتى فى المناطق التى لا توجد بها المشكلة ، فانها تظهر بمجرد قدوم مهاجرين يهود جدد اليها (١) ٠

ويقول « هرتسل » أنه من الطبيعى أن ينجذب اليهود الى الاماكن التى لا يتعرضون فيها للاضطهاد ، وظهورهم فى هذه المناطق يبعث على الاضطهاد ، أى أن اليهود يحملون معهم بذور الاضطهاد الى أى مكان ينزلون به ٠ ويعلق « هرتسل » على هذا الوضع قائلا « هذه هى حالتنا وسنظل على هذا فى كل مكان ، حتى فى تلك البلاد المتحضرة كفرنسا مثلا ، طالما أن المشكلة اليهودية لم تحل على المستوى السياسى ، والان يحمل اليهود التعساء بذور المعاداة للسامية الى انجلترا ، كما ادخلوها معهم الى أمريكا » (٢) ٠

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩ ٠

المعاداة للسامية فى رأى « هرتسل » حركة شـــديدة التعقيد ، ويدعى « هرتسل » أنه يفهم سر المعاداة للسامية • فهو يقول أنه يعالج حركة المعاداة للسامية كيهودى ولكن دون خوف منها » أو كراهية لها • ويرى فى هذه الحركة عناصر قاسية ، منها التعصب الموروث ، والمنافسة التجارية العامة ، وعدم التسامح الدينى ، الى جانب عنصر الدفاع عن النفس (١) وهرتسل لا يعتبر المشكلة اليهودية مشكلة اجتماعية أو دينية ، حتى وأن أخذت أحيانا هذا الطابع • بل المشكلة من وجهة نظره مشكلة قومية ، ولكى تحل يجب اثباتها كمسألة سياسية دولية تناقشها وتعالجها أمم العالم المتحضرة •

والشعب اليهودى فى نظر « هرتسل » شعب واحد (٢) ، مهما اختلفت البلدان التى يعيش فيها ، والنظم التى يتبعها • وهذا الشعب حاول أن يختلط بالمجتمعات القومية التى عاش فيها ، الى جانب محاولته الحفاظ على تراثه اليهودى وديانته ، ولكنه فشل فى ذلك لان الدول التى يعيش فيها لم تسمح له بذلك • ويقول « هرتسل » أنه من العبث أن يصبح اليهود وطنيين مطيعين لهذه الدول ، ومن العبث أيضا أن يضحى اليهود بالحياة والعتاد من أجل هذه الدول ، كما يفعل المواطنون • ومن العبث أيضا أن يحاول اليهود الاسهام فى شهرة هذه البلاد ، ورفع شأنها فى العلوم والفنون ، أو فى اثرائها عن طريق التجارة • ففى هذه البلاد يقول « هرتسل » يعامل اليهود معاملة الاجانب . فالاغلبية هى التى تقرر عادة من هو الاجنبى ، وتحدد علاقتها به على أساس القوة التى تملكها • ولذلك يقول « هرتسل » أنه من العبث أن يعلن اليهودى ولاءه لهذه الامم ، وطاعته لقوانينها (٣) •

ثم ينتقل « هرتسل » لمناقشة موضوع الاضطهاد ، والذى يتعرض له اليهود ، فيذكر أن الاضطهاد والقهر لن يتمكنا من القضاء على اليهود ، فبعد كل فترة اضطهاد يعود اليهودى أقوى منه قبل الاضطهاد • وبعد عصر التحرير

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٩ •
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٩ •
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٩ •

ارتفعت مكانة بعض اليهود ماديا وفكريا ، ونتج عن ذلك أن فقدت هذه الجماعة شعورها بالوحدة مع أبناء دينهم • ومعنى هـــذا أن الامن السياسى يعرض اليهودى لخطر الاندماج وفقدان شعوره القومى ، وهذا الخطر يمس فى المقام الاول الشخصية اليهودية ـ فيعرضها للضياع • فالاندماج لا يعنى فقط الاندماج المظهرى فى الثياب والطعام والعادات والتقاليد الاجتماعية ، وفى الحديث ، ولكنه يتسرب الى أعمال الانسان اليهودى ، فيغير سلوكه ويبعده عن تراثه • والاندماج أيضا لا يعنى أنتهاء المشكلة ، فهرتسل يعتقد أن مظاهر التعصب القديمة ضد اليهود لازالت موجودة ، رغم مجىء عصر التحرر • وهذه المظاهر لها جذورها القوية فى الحكمة الشعبية ، وفى الادب الشعبى حيث يعتبرهما هرتسل ـ محملين بكثير من أشكال المعاداة للسامية •

والدولة اليهودية التى يدعو اليها « هرتسل » سوف لاتضر ، على حد قوله ، بمن تم اندماجهم من اليهود الذين يخشون على أموالهم ، وحقوقهم التى اكتسبوها فى البلاد التى اندمجوا فيها • ويطمئن هرتسل هؤلاء المندمجين من اليهود بأن انشاء الدولة اليهودية سيكون فى صالحهم ، حتى اذا لم يهاجروا اليها ، وذلك لانهم سوف يجدون ملاذا لهم فى أى وقت يتعرضون فيه للخطر ، أو يفقدون فيه الامان فى البلاد التى يعيشون فيها (١) •

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتقد « هرتسل » أن المعـــاداة للسامية ستنتهى من هذه الدول بمجرد قيام الدولة اليهودية ، وذلك لان الدولة سوف لاتشعر بالحاجة الى اضطهاد اليهود • ومن هنا سيكون فى استطاعة اليهود الذين قرروا البقاء فى بلادهم الاندماج فى يسر ، بل ان اندماجهم السريع سيسهل بدوره اختفاء المعاداة للسامية • ورحيل اليهود الى الدولة الجديدة سيكون له فى رأى هرتسل أكبر النفع والفائدة بالنسبة لليهود المندمجين ، اذ سيريحهم هذا من منافسة الطبقة اليهودية العاملة المهاجرة من بلد لاخر بسبب الفقر أو الضغوط السياسية (٢) •

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٢ •

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢ •

فمع انشاء الدولة اليهودية سيستقر هؤلاء اليهـــود ، وان كانت الحكومات المسيحية ستحاول الضغط لمنع هجرة هؤلاء ، الا أن المواطنين اليهود المندمجين أو القابلين للاندماج لن يمنعوا هجرتهم • وذلك لانهم أول من يحس بمنافسة هؤلاء اليهود ، لانهم يشتركون معهم فى دوائر العمل ، وبالتالى فهم أول من يريد التخلص منهم ، حتى يخلو لهم جـــو العمل ، والكسب من ناحية ، ويخففوا من حدة المعاداة للسامية من ناحية أخرى •

ويواصل « هرتسل » هذا التحليل لموقف الجماعة اليهودية المندمجـــة فيتهمهم بأنهم من العوامل المساعدة على تقوية المعاداة للسامية ، بل والعمل على بعثها فى المناطق التى لاتوجد بها • ويعتبر « هرتسل » هذا سرا من أسرار اليهودى المندمج ، ويظهر هذا بوضوح فى الاعمال الخيرية التى يتولاها المندمجون ، فهم يقومون بتنظيم هجرة اليهود القادمين الى البلاد التى يعيشون فيها • فمعظم الجمعيات اليهودية الخيرية أنشأها هؤلاء المندمجون لهـــدف أساسى ، وهو العمل على تهجير اليهود الجدد الى أماكن أخـــرى • ويرى « هرتسل » أن هدف هذه الجمعيات مضاد لمصلحـــة اليهودى المضطهـد ، ويستنتج هرتسل من ذلك أن كثيرين من المعادين للسامية هم من أصل يهودى يتسترون خلف ستائر العمل الخيـــرى ، للعمل على عـــدم استقرار اليهود المضطهدين فى بلادهم (١) •

أما عن محاولات الاستيطان السابقة ، فيحكم عليها « هرتسل » بالفشل وأن كانت مفيدة كتجربة سابقة علىفكرة انشاء الدولة اليهودية ، ويجب دراسة هذه المحاولات للاستفادة من اخطاءها حتى يمكن تفاديها عند القيام بمشـــروع الدولة الجديدة ، ومن الاضرار التى تسببت فيها هذه المحاولات الاستيطانية الاولى أنها زرعت بذور المعاداة للسامية فى مناطق جديدة عن طريق تهجـير بعض اليهود اليها • هذا الى جانب انها أثارت الشكوك بين اليهـــود حـول القدرة على العمل اليدوى ، ففشل عمليات الاستيطان معناه عدم قدرة الجماعة

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٢ •

اليهودية على القيام بالاعمال اليدوية الشاقة التى تساعد على الاستيطان والاستقرار (١) ٠

هذا بالاضافة الى أنه ليس فى استطاعة أى أنسان ، مهما كان ثراؤه ، وثقله السياسى أن ينقل شعبا باسره من موطن الى آخر ، لانه لايملك القوة على فعل هذا ٠ فالقوة على مثل هذا العمل كامنة فى فكرة الدولة ، وليس فى مجرد الاستيطان غير المنظم المرتبط بفكرة أو أيديولوجية معينة ٠

ويخاطب « هرتسل » المشاعر اليهودية فيستخدم التاريخ ، والتراث اليهودى لاثاره الحماس لدى الجماعات اليهودية ٠ فيقول ان اليهود قد حملوا حلم الدولة وخلال تاريخهم الطويل ، ويستخدم شعار « العام القادم فى أورشليم » للدلالة على هذا الحلم الذى طال انتظار تحقيقه ٠ وقد آن الاوان على حد تعبير « هرتسل » أن يتحول هذا الحلم الغامض الى فكرة واضحة براقة ٠ ثم يطمئن الذين سيقررون الذهاب الى الدولة الجديدة بأن خروجهم سوف لا يكون خروجا من الحضارة الى الصحراء ، بل سيكون خروجهم فى اطار الحضارة : « سوف لانعيش فى أكواخ من طين ، بل سنبنى بيوتا حديثة وجميلة ٠٠٠ ولن نترك منزلنا القديم حتى يكون المنزل الجديد جاهزا » (٢)٠

ثم ينظم « هرتسل » عملية الهجرة الى الدولة الجديدة ، فيضع لها الخطة التالية : أن يرحل أولا من اليهود من يريدون تحسين أوضاعهم ومستقبلهم ، فيبدأ هرتسل بالمعدمين تماما من طبقات اليهود ، ثم يليهم فى الهجرة الفقراء حتى يتمكن أفراد هاتين المجموعتين من ضمان حياة مستقرة ، يتحسن فيها وضعهم كبديل لحياتهم البائسة فى المجتمعات التى يعيشون فيها ٠ ثم يسمح بعد ذلك بهجرة القادرين من اليهود ، وأخيرا فليهاجر من أثرياء اليهود من يريد فى المرحلة الاخيرة (٣) ٠

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٣ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٢١٣ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٢١٣ ٠

وهدف هذه الخطة التى وضعها « هرتسل » للتهجير هو أن يرفع المعدمون والفقراء من مستواهم حتى تقترب المسافة بينهم وبين القادرين والاثرياء القادمين بعدهم • واذا ما تم الخروج على هذا الشـــكل التصاعدى ضاعت الفوارق بين الطبقات اليهودية أو تخف حدتها على الاقل • ولا يخفى أيضا أن أحد أهداف هذا الخروج التصاعدى هو قيام المعدمين والفقراء بالعمل اليدوى الشاق فى بداية عملية الاستيطان ، حتى يستريح منها القادر أو الثرى، الذى لاتجبره ظروفه المادية على القيام بمثل هذا العمل • وبطبيعة الحـــال لم يذكر « هرتسل » شيئا عن هذا فى كتابه ، ولكنه واضح من تصنيفه لطبقات اليهود على هذا الشكل •

بعد ذلك يتعرض « هرتسل » لاحوال الدول التى سيهاجر منها اليهود فيزعم أن رحيل اليهود من هذه الدول سوف لايعرضها لأى اضطراب اقتصادى، أو أزمات من أى نوع ، بل يطمئن هذه الدول بأنها ستنتعش اقتصاديا بسبب رحيل اليهود ، وستحدث هجرة داخلية حيث يقوم المواطنون المسيحيون باحتلال الأماكن التى خلت بهجرة اليهود ، ويتوقع « هرتسل » أن تتم هذه الهجرة الداخلية بطريقة منتظمة وتدريجيا حتى لا تحدث اضطرابا فى أحوال البلاد (١) ، وسيرتفع شأن المسيحيين فى هذه البلاد من الناحية الاقتصادية باحتلالهم للسوق التجارية التى سيتركها اليهود من ناحية ، ثم بانتهاء المنافسة اليهودية لهم فى هذا القطاع من ناحية أخرى •

والى جانب هذا الانتعاش الاقتصادى ستنتهى المعاداة للسامية فى هذه البلاد بما تسببه من حين لآخر من اضطرابات داخلية ، وسيترك اليهود هذه البلاد كأصدقاء مكرمين • واذا حدث أن عاد بعضهم الى بلادهم السابقة فسيلقون معاملة كريمة كضيوف على هذه البلاد • كما أن خروج الجماعات اليهودية سيكون خروجا منظما تنظيما جيدا ، حتى لا يحدث خروجهـــم المفاجىء ارتباكا للدول التى ستساعد من جانبها على تنفيذ عملية التهجير لما ستجنيه من فوائد كبيرة (٢) •

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٤ •
(٢) المرجع السابق ص ٢١٤ •

ويقترح « هرتسل » لتنفيذ فكرته أنشاء مؤسستين • الأولى أطلق عليها « مجتمع اليهود » والثانية « الشركة اليهودية » ، ثم هناك هيئة ثالثة تتكون من « المجموعات المحلية » التى ستساعد بدورها فى تسهيل عملية التهجير من الأقاليم الموجودة بها • ويفضل هرتسل أن يبدأ بخلق « الشركة اليهودية » فى البداية ، نظرا لانها ستتكفل بتوفير الموارد المالية اللازمة لانشاء « مجتمع اليهود » (١) •

وفى الفصل الثانى من كتاب « **الدولة اليهودية** » يناقش هرتسل المسألة اليهودية ، فيصف الموقف اليهودى بالخطورة • فاليهود فى رأيه مضطهدون فى كل مكان يعيشون به ، وهم ممنوعون من تولى أى مناصب هامة فى جيوش الأمم التى يتبعونها أو فى أى مؤسسة عامة أو خاصة • والهجوم على اليهود يزداد يوما بعد يوم فى البرلمانات ، وفى الصحافة ، وفى الكنائس والمؤتمرات ، وتختلف أنواع الاضطهاد ••• باختلاف البلاد ، واختلاف ظروفها السياسية واختلاف طبقاتها الاجتماعية • ففى روسيا مثلا تدفع القرى اليهودية ضرائب خاصة ، وفى رومانيا والنمسا تشتد العداء للسامية ، والارهاب ضد اليهود فى الحياة العامة • وفى باريس لا يسمح لليهود بالاشتراك فى الدوائر الاجتماعية ، ويستبعدون من النوادى وغيرها من الانشطة العامة •

ثم يطرح « هرتسل عددا من التساؤلات يوجهها الى الجماعات اليهودية منها :

— أليس حقيقة أن وضع الطبقة الوسطى اليهودية أصبح مهددا بالخطر ؟

— أليس حقا أن وضع الأطباء والمحامين والمدرسين وغيرهم من أصحاب المهن من اليهود أصبح وضعا لا يحتمل فى كثير من البلدان التى يعملون بها •

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٤ •

ــ أليس حقا أن الاثرياء منا أصبحوا موضع طمع العامة من الشعب ؟ (١) ٠

هذه الضغوط يرى « هرتسل » أنها موجودة فى كل مكان ، وتسبب الاضطراب والقلق بين طبقاتنا الاقتصادية العليا ، وتسبب اليأس للطبقة المتوسطة من اليهود وهكذا فكل الاوضاع التى نعيشها تؤدى بنا الى نتيجة واحدة وهى ضرورة الخروج ٠

أليس من واجبنا أن نرحل فى الحال ، واذا كان الامر كذلك فكيف يتم الخروج ؟ أم يجب أن نبقى على هذا الوضع ؟ واذا بقينا فالى متى ؟ ٠ وأما فيما يتعلق بالبقاء فهو مستحيل ، فالدول التى نعيش بينها دول معادية للساميين وتكرههم كراهية صحيحة (٢) ٠

ويستشهد « هرتسل » بالتاريخ فيذكر أن التاريخ يعيد نفسه ، فأخطاء العصور الوسطى ترتكبها الآن دول أوربا ضد اليهود ، ونحن اليهود من صنع الجيتو ، ولا نستطيع أن نتخلص من هذه الصفة ٠ وقد دفعتنا أحوال العصر الوسيط الى احتلال المكانة الأولى فى السلم الاقتصادى ، واستقرت الأموال فى يدنا ، والآن يتكرر نفس الشىء ٠ فاليهود مجبرون للمرة الثانية على العمل فى قرض الأموال ، وذلك لعدم السماح لنا بالقيام بأى عمل آخر ، واليهود مكروهون لهذا السبب ، بل وينظر اليهم المجتمع بعين الاحتقار ٠ والمتعلمون المثقفون من اليهود أصبحوا اشتراكيين ، وسيؤدى هذا الى أن يصبح اليهودى فى دائرة الصراع الطبقى ٠ لان موقفه يجعله وسطا بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى (٣) ٠

وعن المحاولات السابقة لحل المشكلة اليهودية يذكر « هرتسل » أنها كانت محاولات فاشلة ٠ ومن هذه المحاولات الفاشلة توطين اليهود أو تحويلهم الى زراع فى البلاد التى هجروا اليها ، ويتساءل « هرتسل » ما الذى سيتم على أثر تهجير بعض آلاف من اليهود الى بلد آخر ؟ فهؤلاء اما أنهم سيكونون

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٥ ٠ (٢) المرجع السابق ص ٢١٦ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٢١٦ ٠

معدمين تماما ، أو اذا حدث وانتعشوا اقتصاديا فأن رخاءهم يعرضهم لأخطار المعاداة للسامية (١) .

وهذه المحاولات وغيرها لا تقدم العلاج للمشكلة اليهودية ، بل هى وسيلة لتأجيل العلاج الحقيقى . هذا بالاضافة الى أن هؤلاء الذين يحاولون تحويل اليهود الى فلاحين يرتكبون فاحشا . فالفلاح لا يمكن صنعه ، اذ أن الفلاح من صنع الماضى . كما نرى فى ملابسه وأدواته وعاداته ، وتقاليده . هذا الى جانب أن الفلاح فى سبيله الى الانقراض كنموذج ، اذ أن المشكلة الزراعية ستعالجها فى المستقبل الميكنة الزراعية ، وتصبح الحاجة الى الفلاح التقليدى نادرة ، ولهذا فخلق فلاحين جدد على النمط التقليدى القديم أمر غير مقبول عقليا ، اذ ليس من بيننا من لديه القدرة المادية ، والقوة على العودة بالحضارة خطوة واحدة الى الوراء (٢) .

هذه الوسائل التى أتخذ تلعلاج المشكلة اليهودية وسائل سطحية لا تلاءم عمق المشكلة . فظاهرة المعاداة للسامية لا يمكن التغلب عليها ، الا بالقضاء على أسبابها . ولكن هل هذا ممكن ؟ وبعد أن يطرح « هرتسل » هذا السؤال يناقش أسباب المعاداة للسامية فيقول : أنه لا يريد مناقشة الأسباب غير العقلية لهذه الظاهرة . كالتعصب وضيق الأفق . ولكنه يناقش الاسباب السياسية والاقتصادية .

وفى رأى « هرتسل » لا يجب الخلط بين المعاداة للسامية فى شكلها المعاصر واضطهاد اليهود فى الماضى . فالمعاداة للسامية فى العصر الحاضر ليست لأسباب دينية ، وان اتخذت هذا الشكل فى بعض البلاد . فكراهية اليهود اليوم تختلف عنها فى الماضى . فهى الآن نتيجة مباشرة لتحرير اليهود (٣) . ويقول هرتسل : « أنه عندما حررتنا الشعوب المتحضرة

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٣١٨ .

جاءت هذه الحرية فى وقت متأخر ، فأخذت الحرية مظهرا خارجيا فقط ، ولم نتحرر من الداخل • فقد نشأنا وتطورنا فى الجيتو الى طبقة بورجوازية ، وخرجنا من الجيتو لننافس الطبقة الوسطى ، وهكذا وجدنا أنفسنا نواجه ضغطا من الداخل والخارج • أما البورجوازى المسيحى ، فقد أعتبرنا قربانا يتقرب به الى الاشتراكية •

ومن ناحية أخرى يزعم « هرتسل » أن الحقوق التى حصل عليها اليهود على أثر تحررهم ومساواتهم لا يمكن الرجوع فيها ، فذلك مناف لروح العصر • الى جانب أن رفض هذه الحقوق يجعل الحكومات الأوربية تعتبر اليهود من العناصر المتمردة أو الرافضة داخل بنيانها ، وهذا يعرضنا ، غنينا وفقيرنا ، للخطر • وقد أختلف الوضع الآن ، ففى الماضى كانت الحكومات تستطيع أن تسلبنا أموالنا ومجوهراتنا ، أما الآن فثروتنا كلها أوراق بنكنوت محفوظة فى بنوك العالم ، وهذا يجعل من الصعب على الحكومات أن تستولى عليها ، وحتى اذا استولت الحكومات على أسهمنا وودائعنا عن طريق فرض الضرائب الباهظة عليها • فأن ذلك لن يؤدى فقط الى الأضرار بأحوال اليهود ، ولكنها ستضر الأموال المسيحية أيضا كما أن هذا يمكن أن يؤدى الى أزمة اقتصادية تؤثر على المسيحيين واليهود على السواء • هذا الوضع وهو استحالة الاضرار برأس المال اليهودى يغذى ويعمق كراهية الشعوب لليهود فى العصر الحالى (١) •

ومن أسباب المعاداة للسامية أن اليهودى فقد القدرة على الاندماج مع الشعوب ، وكان هذا من نتائج الحياة فى العصور الوسطى • وقد استمر هذا فى العصر الحالى ، ولم تفلح المساواة فى القضاء على هذه المشكلة • فالمساواة لم تقض على المعاداة للسامية ، وان أفادت اليهود فى أنها وحدت الجماعات اليهودية فى مشاعرها ، وجعلت من اليهود شعبا واحدا لديه القوة والقدرة على خلق دولة نموذجية • فنحن نملك الموارد المادية والبشرية الكافية للقيام بهذه المحاولة (٢) •

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٩ •

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠ •

ويصف « هرتسل » خطته لانشاء هذه الدولة بأنها خطـــة ممكنة ، وتنفيذها أمر غير مستحيل ، خاصة اذا استطعنا اقناع الحكومات المعادية للسامية بمساعدتنا فى تحقيق هدفنا ، وسيقوم بتنفيذ هذه الخطة المؤسستان السابق ذكرهما « مجتمع اليهود » و « الشركة اليهودية » • وستكون الشركة اليهودية الوكالة التى ستتولى ادارة شؤون اليهود المهاجرين ، وسوف تقوم بتنظيم الأعمال فى الدولة الجديدة ، ويقول « هرتسل : » أنه لا يجب أن نتصور الخروج اليهودى على أنه خروج فجائى بل هو خروج تدريجى سيأخذ عددا من السنين (١) •

فسيذهب اليهودى الفقير أولا ليزرع الأرض ، ويشيد الطرق ، ويبنى الكبارى والسكك الحديدية وينظم الرى • وسيؤدى عملهم هذا الى خـــلق التجارة التى ستخلق بدورها الأسواق التجارية ، التى ستجذب اليهـــا المهاجرين الجدد • وهؤلاء سيذهبون طواعية وعلى حسابهم الخاص ، متحملين المسؤولية كلها ، وسيجد هؤلاء أن العمل الزراعى له قيمته ، فيرغبون فيـــه ويتخذونه عملا لهم •

وتأسيس دولة فى العصر الحاضر يختلف فى رأى هرتسل عنه فى الماضى فمن الحماقة أن نتمسك بالأســـاليب القديمة لكى نبنى الدولة الحديثة • ويقول « هرتسل » لنفرض مثلا أننا اضطررنا الى أخلاء بلد ما من الحيوانات المتوحشة فلا يجب أن ننفذ هذه المهمة بالطريقة التى اتبعها الأوربيون لا يجب أن نأخذ رمحا وحربة ، ونذهب فرادى بحثا عن الذئاب • بل يجب أن ننظم فرقة صيد عظيمة وكبيرة لنطرد الحيوانات مرة واحدة ، ونلقى بقنبلة فى وسطها (٢) •

أما المبانى التى سنشيدها فيجب أن تكون عصرية وقوية لاننا نملك الآن الوسائل التى تمكنا من ذلك •

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢١ •
(٢) المرجع السابق ٢٢١ •

يتخذ « هرتسل » من رسالته هذه بداية لارساء قواعد المناقشة العامة التى يجب أن تسير عليها المداولات الخاصة بعلاج اليهودية . فاليهود الذين يوافقون على فكرة الدولة اليهودية ، يجب أن يعلنوا انضمامهم الى « مجتمع اليهود » ، لكى تأخذ هذه المؤسسات صفة رسمية ، ويكون لها الحق فى أن تتحدث باسم اليهود ، ولها سلطة كافية لكى تتعامل مع الحكومات بالنيابة عن الشعب اليهودى . وهذه المؤسسة ستكون القوة التى ستخلق الدولة اليهودية ، واعتراف الدول بـ « مجتمع اليهود » هو فى حد ذاته اعتراف بالدولة اليهودية . وهو يعنى بالفعل خلق هذه الدولة .

واذا أبدت القوى الكبرى رغبتها فى منح اليهود السيادة المستقلة على أرض محايدة فعلى « مجتمع اليهود » أن يدخل فى المفاوضات المباشرة لامتلاك هذه الأرض .

وبالنسبة لهذه الأرض التى يتحدث عنها « هرتسل » فهو يذكر اقليمين بالذات تمت فيهما بعض تجارب الاستيطان ، وهما فلسطين والأرجنتين . وهو يعلل فشل هذه التجارب فيهما بأنها اعتمدت خطأ على مبدأ التسلل التدريجى لجماعات من اليهود . فالتسلل كما يقول « هرتسل » نهايته دائما سيئة ، فسيأتى الوقت الذى تكتشف فيه الحكومات هذا النهج فتضع نهاية للتسلل ، استجابة منها لضغط المواطنين الذين سيشعرون بالخطر من جانب الجماعات اليهودية المتسللة .

الهجرة اذن لا جدوى منها الا اذا تمت على أساس الاستقلال الممنوح ، والارض التى تقترحها القوى الكبرى . ويتعامل « مجتمع اليهود » مع السلطات الموجودة حاليا فى الاقليم المقترح ، ويكون هذا التعامل تحت اشراف القوى الأوربية وبمعرفتها ، ويمكننا أن نقدم للسلطات الحالية امتيازات كثيرة ، فخلق الدولة اليهودية لا شك فيه فائدة كبيرة للاقاليم المجاورة ، لان زراعة وتعمير قطاع من الأرض سيرفع من قيمة القطاعات المحيطة بها .

وأيهما أفضل كوطن لليهود : فلسطين أم الأرجنتين ؟ يضع هرتسل

هذا السؤال ، ويجيب عليه بقوله أن « مجتمع اليهود » سيقبل أى أقليم يمنح له ، ويفضله الرأى العام اليهودى • والأرجنتين من أعظم بلاد العالم خصوبة ، وتمتد على مساحة شاسعة من الأرض ، وليست عامرة جدا بالسكان ، كما أن لها مناخ معتدل وسيكون من المهم لحكومة الأرجنتين أن تتنازل لنا عن جزء من أراضيها • ولا شك أن تسلل اليهود الى الأرجنتين قد سبب فى الوقت الحالى بعض القلق لدى حكومة الأرجنتين وشعبها • ومن الضرورى توضيح الأمر ، واقناع الحكومة الأرجنتينية بالاختلاف الجوهرى بين حركة التسلل السابقة وبين هذه الهجرة الجديدة لليهود (١) •

أما فلسطين فيقول عنها هرتسل : أنها وطننا التاريخى الذى لا ينسى • واذا وافق جلالة السلطان على أعطائنا فلسطين ، نستطيع فى مقابل ذلك أن نتولى الادارة التامة لشؤون تركيا المالية ، ويمكننا أن نكون فى فلسطين حائطا دفاعيا لأوربا فى آسيا ، ونقطة حضارية وسط البربرية ، وكدولة يجب أن نبقى على اتصال بأوربا التى يجب أن تضمن وجودنا • أما الأماكن المسيحية المقدسة فمن الممكن أن توضع تحت أى شكل يتفق عليه من الحماية الدولة ، أو الاشراف الدولى (٢) •

وفى خاتمة الكتاب يعلق هرتسل على النتائج التى وصل اليها بقوله أن اليهود فى دولتهم سيكون لهم أعداء ، شأنهم فى ذلك شأن كل الأمم • ولكن اذا تم استقرار اليهود فى أرضهم فلن يتعرضوا للشتات مرة أخرى ، ولن يبعث من جديد عالم المنفى الا اذا دمرت الحضارة الانسانية • ولكن عالم اليوم عالم متحضر له من القوة ما يمكنه من الدفاع عن نفسه ، والاعتراضات على هذا المشروع كثيرة تماما ، كما أن الوقحاء من الناس أكثر عددا من النبلاء فى هذا العالم • لقد حاولت الرد على أفكار بعض المتعصبين وضيقى الأفق ، ومن يسير خلف العلم بنجومه السبعة يجب أن يساعد فى حملة التنوير • فالمعركة ستبدأ ضد الاشرار قصيرى النظر من اليهود (٣) •

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٢ •
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٢ •
(٣) المصدر السابق ص ٢٢٣ •

والآن قد يبدو هذا كله كحلم ، وحتى فى أحسن الظروف قد تمر سنين عديدة قبل أن يبدأ تأسيس الدولة • واذا بدأنا تنفيذ هذه الخطة فستنتهى المعاداة للسامية فى الحال وفى كل مكان • وبأنشاء الشركة اليهودية سيأتى العون من أقصى الأرض ، وسيجد المثقفون منا مكانا لهم فى منظماتنا ـ كأساتذة وموظفين اداريين وأطباء ومحامين وضباط ، وستتقدم الصلوات فى المعابد والكنائس على السواء •

أنه الخلاص من العبء القديم الذى قاسى منه الجميع ، ودعنى أكرر الكلمات التى أفتتحت بها رسالتى : ان اليهود الذين يريدون هذه الدولة سيحصلون عليها ، وسيتحرر العالم بحريتنا ، ويثرى بثرائنا ، ويعظم بعظمتنا ، وما نحاوله هنا لخيرنا سيكون فيه الخير للانسانية كلها » (١) •

٣٠ ـ تحليل لصهيونية هرتسل السياسية :

ومن هذا العرض التفصيلى لكتاب **الدولة اليهودية** يتضح الاثر الذى تركه فكر « ليوبنسكر » على آراء « هرتسل » • فقد اعتبر كلاهما ظاهرة المعاداة للسامية الأساس الأول للمشكلة اليهودية ، ولذلك لا علاج لهذه المشكلة فى رأيهما بدون استئصال أسباب المعاداة للسامية • فالشعب اليهودى شعب غريب بين الشعوب ولا يمكنهم الاندماج التام فى حياة هذه الشعوب ، والتى بدورها لن تسمح لهم بالاندماج • ويتفق بنسكر وهرتسل على ضرورة أتحاد يهود العالم ، وتنظيم قواهم البشرية ومواردهم المادية ، والاستفادة من القوى الأوربية لتحقيق فكرة الدولة اليهودية كعلاج وحيد للمعاداة للسامية •

ويبدو « هرتسل » أكثر تفاؤلا من « بنسكر » ، فهو أى هرتسل لم يذهب الى حد اعتبار المعاداة للسامية خللا عقليا ، أو مرضا نفسيا كما اعتقد بنسكر • ولكنه أعتبر المعاداة للسامية تعبيرا عن شعور طبيعى له

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٦ •

منطقه ، وأسبابه المقبوله عقليا ، بل يذهب هرتسل الى أبعد من هذا باعتباره أن المعاداة للسامية ليست كل نتائجها سلبية على الاطلاق • ولكنها من جانب آخر ساعدت على توحيد المشاعر اليهودية ، بل وتوحيد اليهود كشعب يعانى فى رأيه من مشكلة عامة ومشتركة •

وقد اعتقد « هرتسل » أن القوى الكبرى يجب أن تعمل من جانبها على مساعدة اليهود فى التخلص من العداء للسامية عن طريق انشاء دولة يتم تهجير اليهود اليها ، فيتحقق لهذه الدول الخلاص من العنصر اليهودى ، وتنتهى بذلك ظاهرة المعاداة للسامية •

وفى هذا يختلف أيضا « هرتسل » عن « بنسكر » الذى لم يكن يطمح فى أكثر من موافقة العالم غير اليهودى على انشاء الدولة التى اعتقد أن تنفيذها يعتمد أساسا على جهود اليهود الذاتية ، وتوجيه كل طاقاتهم فى هذا السبيل •

أما هرتسل فقد عبر عن اعتقاده فى أن الأمم الغربية ستعمل مع اليهود على خلق الدولة اليهودية وأن خلق هذه الدولة سيعود بالخير على الأمم الغربية، بل على العالم كله ، وربما يعود الاختلاف فى الروح التى عمل بها بنسكر وهرتسل من أجل تحقيق فكرة الدولة الى اختلاف نشأة كل منهما ، وتجاربه الذاتية •

فقد نشأ « هرتسل » متأثرا بأفكار الحرية والمساواة التى سادت العالم الغربى ، بينما عاش « بنسكر » وسط المذابح اليهودية فى روسيا فلم يشعر بما شعر به هرتسل من حرية • ولهذا كان فكر بنسكر بداية لخيط فكرى متشائم فى الأدب الصهيونى ، ويقابل تفكير بنسكر المتشائم نظرية «هرتسل» التى رأت فى الصهيونية علاجا لمشكلة التوتر بين الانسان اليهودى والعالم • وقد صاغ هرتسل نظريته فى شكل عقلانى ، ومنطق يلائم العقل الغربى ، فكل الناس فى رأى هرتسل عقلاء حتى الذين يكرهون اليهود من بينهم ، ولانهم عقلاء فسيقومون بعمل ما هو فى صالحهم • والمعاداة للسامية تسبب اضطراب السلام فى أوربا ، ولذلك فالدول الغربية يهمها أن يستتب الأمن

والسلام ، وستعمل على تحقيقهما بالقضاء على المعاداة للسامية ٠ ولهذا فنفكرة الصهيونية فكرة معقولة ، وسيقبلها العقل الأوربى ويعمل على تنفيذها لما فيها من تحقيق لمصالحه ٠

وهكذا يجعل هرتسل المعاداة للسامية مشكلة العالم الغربى ، وليست فقط مشكلة خاصة باليهود ٠ وقد وضح هرتسل هذا الرأى فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى أنعقد فى « بازل » ١٨٩٧م ففى هذا المؤتمر صرح « هرتسل » بأن المشكلة اليهودية هى مأساة الحكومات الأوربية ٠ فاذا اتخذت الحكومات الأوربية جانب اليهود ضد ارادة شعوبها فقد تتسبب فى آثارة هذه الشعوب ضد حكوماتها ، واذا وقفت الحكومات ضد اليهود فربما تتسبب فى أحداث أزمة اقتصادية لنفسها ، وذلك بسبب النفوذ اليهودى فى الدوائر المالية العالمية ٠ واذا حدث أن أخذت الحكومات موقفا محايدا بين شعوبها واليهود فان اليهود يجدون أنفسهم بدون حماية من الحكومة ، مما قد يؤدى بهم الى الثورة والتمرد ، أو على الاقل الوقوع فى قبضة الناهضين للحكومات (١) ٠

وهكذا يصور « هرتسل » الموقف وكأنه مشكلة عسيرة بالنسبة للامم الأوربية ، والمخرج الوحيد منها هو بتأييد الصهيونية (٢) ٠ الصهيونية اذن وحسب هذا المنطق تعمل من أجل السلام والوفاق بين الشعوب وحكوماتها ٠

والخيوط العامة التى تتحكم فى فكر « هرتسل » والتى على أساسها قامت صهيونيته السياسية بل والتى أصبحت أساسا فيما بعد للصهيونية السياسية عامة يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

أولا : أن تحرير اليهود فى المجتمع الاوربى كان خطأ جسيما وعملا فاشلا ، وقد عبر هرتسل عن هذا الرأى فى خطابه الى بسمارك الذى نص فيه على أنه

---

(١) Theodor Herzl, «Opening Address at the First Zionist Congress», Zionist Writings, Essays and Addresses, Vol. I Trans. By Harry Zohn, Herzl Press N.Y. 1973, p. 136.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٦ ٠

كان من أكبر الاخطاء التى وقع فيها المجتمع الاوربى منحه لليهودى كل حقوق المواطن ومساواته بالمواطن الاوربى · فتحرير اليهود لم يكن ليتم بهذه الطريقة الفجائية وكان من الواجب أن تمنح هذه الحرية للانسان اليهودى تدريجيا ، حتى يتم اندماجه فى المجتمع الاوربى فى سهولة ويسر (١) · ويعنى هذا أن

---

(١) Jacob. Bernard Agus, « Ethnic Antisemitism and Political zionism » in his. The Meaning of Jewish History, Vol. II, Abelard — Schuman, London, 1963, p. 414.

يرى كثير من المفكرين اليهود المعاصرين أن التحرير قد سبب أكبر أزمة تعرض لها تاريخ الديانة اليهودية ، فالوضع الاجتماعى الجديد الذى احتله الانسان اليهودى فى المجتمع أجبره على اعادة النظر فى عقائده الدينية ومحاولة تكييف أسلوب حياته ليناسب هذا الوضع الجديد · فالترحيب بالتحرير كان ثمنه اعادة تشكيل التراث اليهودى ويبدو تأثير التحرير على كل أشكال اليهودية وبالدخول التام لليهودى فى الحياة العلمانية ، ومن هنا يرى هؤلاء المفكرين أنه اذا كان اليهودى كفرد قد استفاد من التحرير فان اليهود كجماعة قد خسروا واليهودية كتراث تعرضت للدمار · حتى الصهيونية نفسها لم تستطع علاج هذه الازمة لانها لم تعمل على البعث الثقافى لليهود واليهودية ومن المفكرين اليهود المعاصرين ، ينقد بركوفتس الصهيونية السياسية التى دعا اليها هرتسل والتى انتهت جهودها بقيام دولة اسرائيل فيقول : « ان الصهيونية كما تطورت فى دولة اسرائيل لاتعنى التجديد الثقافى أو البعث الدينى كما أنها لا تؤدى بطريقة تلقائية الى التوفيق بين التوراة والحياة · بل على العكس أن ظهور الصهيونية يؤكد هذا الصراع أو الانشقاق بين التوراة والحياة عن طريق كشف النقاب عن التناقض بين الشكل الجديد للحياة اليهودية وعالم التراث اليهودى القديم · ولهذا يرفض بركوفتس الصهيونية فى اسرائيل لان الواقع اليهودى الجديد فى فلسطين له طبيعة لا يمكن التوفيق بينها وبين مقاصد « اليهودية التاريخية» انظر : Eliezer Berkovitz, Towards Historic Judaism, Oxford, East and West Library, 1943, p. 37-38.

وانظر فى هذا أيضا : Joseph Blau, «Was Emancipation a Mistake ? Med — Twentieth Century Appraisals » in his Modern Varieties of Judaism, pp. 152-185.

« هرتسل » لم يكن معترضا فى بداية الامر على سياسة الاندماج ولكن تفكيره السياسى دفعه الى الاعتقاد فى أن هذا الاندماج لا يحقق حرية الانسان اليهودى .

ففقدان الشخصية اليهودية فى المجتمع الاوربى ليس تحررا فى نظره . هذا فى الوقت الذى نجده فى خطاب آخر الى « البابا ليو » الثالث عشر يعرض على البابا فكرة حل المشكلة اليهودية عن طريق التحويل الجماعى لليهود الى المسيحية حيث تقول احدى فقرات الخطاب وعلى لسان « هرتسل » : « ساعدنى ضد المعادين للسامية ، وأعدك بأن أقود حركة ضخمة حرة وكريمة لتحويل كل اليهود الى المسيحية » (١) ولا شك أن هذا التناقض الواضح فى فكر « هرتسل » تناقض مقصود ، فهو سمة من سمات الدبلوماسية التى أتبعها هرتسل لاقناع الاطراف المختلفة بالمشكلة اليهودية واستعداده لقبول أى حل لها ، مهما كان متطرفا ، وهو يعلم تماما أن ما يعد به لايمكن تحقيقه . وهكذا نجده يخاطب « بسمارك » بلغة تخالف تماما اللغة التى يخاطب بها البابا ، وهى بدورها تختلف عن حديثه مع السلطان التركى .

ثانيا : يؤكد هرتسل فى كثير من كتاباته على فكرة ارتباط كرامة الامة وتكاملها الاخلاقى بالقوة . فاليهود فى نظره جماعة مهانة لاكرامة لها ولا شرف لانهم جماعة بلا قوة سياسية ، وهذه الفكرة هى من تأثير الايديولوجية القومية الالمانية على هرتسل . وقد طور هرتسل فكرة أن الامة التى لا تملك القوة هى أمة بلا روح ، وبدون حياة روحية (٢) .

وقد انسجم هذا الرأى مع فكره الصهيونى السياسى ، مع أنها لم تجد قبولا لدى أصحاب الصهيونية الروحية من اليهود ، وبخاصة « آحادهاعم » الذى اعتقد أن الفكر الروحى والحضارى هو الاساس الاول لقوة الامة ، وهو المصدر الاول للقوة السياسية (٣) وهكذا يستخدم « هرتسل » فكرة القوة

---

(١) The Meaning of Jewish History, p. 415.

(٢) The Meaning of Jewish History, p. 415.

(٣) Ahad Ha-CAm, « Slavery in Freedom » in Selected Essays of Ahad Ha-C'Am, Trans, from the Hebrew, by Leon Simon, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1962., p. 191.

بمعناها القومى الالمانى ، ويطبقها على الوضع اليهودى • فقد اعتقد أنه بدون القوة لن يكون هناك حل لما أسماه بالمشكلة اليهودية ، وبدون أنشاء وطن لليهود لن يكون فى استطاعتهم استرداد كرامتهم ، وهو فى هذا الشأن متأثر بالفكر القومى الالمانى الذى يركز على القوة كمبدأ أول لحل بقية مشاكل الامة •

والسبب الاول لضياع شخصية اليهودى وكرامته هو تحرير اليهود ، فالخروج من الجيتو كان بالنسبة لهرتسل اعلانا بالتخلى عن الروح القومية اليهودية • فالجيتو مجتمع يهودى منعزل تماما عن المجتمع الاوربى ، يتمتع فيه اليهود بأدارة شؤون حياتهم • فهو أشبه بالدولة داخل الدولة • وقد احتفظ الانسان اليهودى داخل الجيتو بتراثه وثقافته ، وأحساسه بيهوديته •

ثم جاء التحرير ليعلن خروج اليهودى من الجيتو ، وتعريض شخصيته للضياع فى المجتمع الكبير ، ولهذا نظر يهود روسيا وأوربا الشرقية عامة الى يهود الغرب الذين قبلوا التحرر على أنهم « عبيد فى حرية » ، وقد التقط « آحادهاعم » هذا الرأى ، وأكد عليه فى كتاباته ، فيهود أوربا المتحررون هم فى رأيه يهود أحرار فى عبودية (١) • وقد تكررت فكرة العبودية الجوانية فى الادب الصهيونى أكثر من نصف قرن ، وقد غفل زعماء الصهيونية عن أن اليهود اختاروا الحياة خارج الجيتو ، وفضلوا الحياة كأفراد أحرار فى مجتمع حر على النمط الغربى عندما أتيحت لهم الفرصة ، ورفض معظمهم الحياة المغلقة داخل أسوار الجيتو وعلى نمط العصور الوسطى •

ثالثا : أن العنصر اليهودى فى أى مجتمع من المجتمعات عنصر مثير للاضطراب والتمرد داخل المجتمع الاوربى (٢) • وهذا أمر يتعلق بطبيعة اليهودى ، فهو بطبيعته لا يستطيع الحياة مع الشعوب الأخرى ، وان عاش نلكى يكون عنصرا مدمرا لقوة هذه الشعوب ، ومحرضا على الثورة وقلب الاوضاع • وقد استند هرتسل الى هذا الرأى فى مراسلاته مع ملوك وحكام أوربا ، فقد صور لهم أن بقاء اليهود داخل المجتمعات التى يحكمونها ليس فى

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٢ •

(٢) The Meaning of Jewish History, p. 416.

صالح هذه المجتمعات ولا فى صالح حكوماتها . ولهذا يجب على هذه الحكومات تشجيع فكرة الصهيونية وانشاء الوطن اليهودى حتى تتخلص هذه الحكومات من العناصر المناهضة لها .

رابعا : ابرز هرتسل أيضا فكرة الشعب اليهودى كشعب واحد (١) ، وكان هذا افتراضا ضروريا ، رغم أن الواقع اليهودى يوحى بعكس ذلك تماما . ففكرة الدولة اليهودية لاقيمة لها اذا لم يكن هناك شعب متحد متجانس لاقامتها . وقد تأثر « هرتسل » فى فهمه لفكرة الشعب بالنظرية القومية الالمانية التى استندت الى فكرة الشعب الالمانى ككائن عضوى ، أو على الاصح ككائن بيولوجى (٢) . وقد أقتبسها « هرتسل » لكى يؤكد التركيب العنصرى البيولوجى للجماعة اليهودية ، ويخضع مفهوم الوحدة السياسية القومية لهذه الوحدة العضوية البيولوجية . فهى كافية فى رأيه للتعبير عن العبقرية اليهودية فى طلبها للقوة والوحدة السياسية ، كما كان الحال بالنسبة للالمان . وكان هدف « هرتسل » البعيد هو الدلالة على أن اليهود عنصريا لايمكنهم أن يكونوا جزءا من أى أمة أوربية ، واقناع الحكومات والشعوب الاوربية بمساعدة اليهود على تكوين أمة مستقلة بهم .

وهذا الرأى يتعارض مع فكر « هرتسل » فى مرحلته الاولى ، وهى المرحلة الاندماجية فى حياته ، حيث كان « هرتسل » من اليهود المندمجين الذين قبلوا الانضمام الى المجتمع الأوربى ، والحياة فيه كمواطنين . ولم يكن « هرتسل » فى هذه المرحلة مهتما بالحيلة اليهودية ، أو متمسكا بأهداف التراث اليهودى ، كما كان بعيدا كل البعد عن الجماعات اليهودية ومشاكلها ، بل كان من المدافعين عن سياسة الاندماج . وقد اعتقد أن جيلين من الحياة الحرة الخالية من تهديد المعاداة للسامية كفيلان ، بتحقيق الاندماج الذى يحقق للانسان اليهودى فرصة تكوين شخصية يهودية جديدة هى شخصية اليهودى الاوربى الحديث المتحضر ، بصرف النظر عن الشكل الحضارى الذى يتبعه فرنسيا كان أو المانيا

---

(١) المرجع السابق ص ٤١٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٤١٧ .

او غيره • وكان من رأى « هرتسل » أيضا أنه فى ظل الاندماج يستطيع اليهودى أن يرتفع الى مستوى التكامل الذاتى ، والشعور الشخصى بانسانيته ومن خلال الشخصية المتكاملة داخل المجتمع الاوربى يمكنه أن يحتفظ بتراثه الدينى ويمارسه •

تغيرت هذه الاراء وانتقل فكر « هرتسل » الى مرحلة جديدة معبرة عن تغير طارىء فى شخصية هرتسل وحياته • وربما كان السبب الاول فى هذا التغير هو التطرف الذى انساقت اليه القومية الالمانية ، فقد أصبحت أكثر عنصرية ، وغرقت فى بحر تمجيد الجنس الآرى ، واعتبار الرابطة الدموية العماد الاول للشعور القومى • فقد رأى « هرتسل » فشل جهود مثقفى اليهود فى الاندماج ، رغم محاولاتهم الدائبة ، فمع تطرف القومية الالمانية أصبح من الصعب على اليهودى أن يكون مواطنا المانيا بمعنى الكلمة • وما كان من هرتسل وأمثاله من المندمجين سوى الانصراف عن فكرة الاندماج ، وتطوير فكرة القومية اليهودية ، التى اتخذت عند « هرتسل » شكلا قوميا المانيا • والغريب أنه نفس الشكل الذى رفض أن يعيش تحت لواءه • فالقومية التى دعى لها «هرتسل » تشبه فى كثير من مقوماتها القومية الرومانسية التى تمجد الشعب وتقدسه • وقد عبر « مارتن بوبر » عن هذا الشعور القومى الرومانسى عند « هرتسل » بقوله : « أصبح الشعب بالنسبة لهرتسل مجتمعا من البشر ، يكون وحدة واحدة لها خصائص تميزها عن بقية الجماعات • وأن الشعب اليهودى له أفضلية مطلقة على كل الشعوب تشبه تماما ما ادعاه الشعب الالمانى لنفسه من فضائل وصفات لاتوجد فى غيره من الشعوب • وهذه الافضلية بالنسبة لليهود تتمثل فى أنهم شعب الله » (١) وقد استخدم « هرتسل » نفس الاصطلاحات القومية التى استخدمها القوميون الرومانسيون الالمان ، وبخاصة عبارة « الارض والدم » وغيرها من العبارات الدالة على العبقرية الالمانية التى تحولت على يد القوميين الالمان الى «عبقرية ميتافيزيقية»

ويعلل أحد المفسرين اليهود للفكر الصهيونى بأن هذا التطرف اليهودى كان نوعا من الافتخار ، أو الاعتزاز المجروح الذى دفع « هرتسل » الى بعث

---

(١) نقلا عن ,The Meaning of Jewish History p. 421.

الروح اليهودية ، ومحاولة الاكتفاء الذاتى والاستغناء عن بقية الامم ، وهى فى رأى هذا المفسر آراء متطرفة غير عقلانية ، ولا يحكمها منطق ، كما هو حال معظم الاتجاهات الرومانتيكية فى السياسة والادب والفن • فهى اتجاهات رافضة للنظام الكونى العام ، ورافضة لكل ما هو معقول ، ولا تقبل الا الروح العنصرية الاصلية ، وعبادة الشعب • وهذه الفلسفة تنطبق على كل الجماعات العنصرية (١) •

خامسا : يتفق « هرتسل » مع المعادين للسامية فى موقفهم من الجماعات اليهودية فى بلادهم ، وهو يعتبر المعاداة للسامية تعبيرا طبيعيا عن الشعور الشعبى العام للاوربيين (٢) • ومع ارتفاع شأن القومية الالمانية ، اعتقد هذا الشعور القومى على الرابطة الدموية التى ربطت قديما بين القبائل القديمة ، وجعلت منها عصبة واحدة • وبنفس المنطق أعتبر « هرتسل » الجماعات اليهودية جماعة عنصرية ، ولم ير عيبا فى هذا ، ولهذا السبب فهو لم يعتبر المعاداة للسامية امتدادا لتعصب العصور الوسطى ، أو وسيلة لكسب الشعور القومى ، ولكنها فى رأيه تعبير أصيل عن مشاعر الشعوب الاوربية • اذ يقول: « المعادون للسامية على حق •• المعادون للسامية سيكونون أصدقاءنا الذين نعتمد عليهم ، والدول المعادية للسامية ما هم الا حلفاؤنا » •

وكانت هذه احدى الحيل الدبلوماسية التى حاول بها « هرتسل » اكتساب تأييد الحكومات الاوربية وشعوبها • وعلى الرغم من دبلوماسية هرتسل الفائقة، وقدرته على تحويل المسألة اليهودية الى مسألة سياسية دولية ، الا أنه وقع فى بعض الاخطاء الجوهرية التى وصمت بها الصهيونية من بعد (٣) • ففى محاولته التأكيد على منافع الصهيونية والفوائد التى ستجنيها الدول الاوربية من تأييدها ، أكد هرتسل بوعى أو بدون وعى على أن اليهود عنصر لا يمكن الاطمئنان اليه • ولذا فواجب الشعوب الاوربية أن تتخلص من هذا العنصر

---

(١) The Meaning of Jewish History p. 241.

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٣ •

(٣) المرجع السابق ص ٤٢٤ •

بتأييدها فكرة انشاء الوطن الخاص باليهود ، ومع أن جهود هرتسل نجحت فى الحصول على هذا التأييد ، الا أن دعوة « هرتسل » عمقت الشعور الاوربى العام ضد اليهود ، وقد تعرض كثير من اليهود للضرر الناجم عن اعتراف « هرتسل » بأن اليهود عنصر شغب وتمرد داخل المجتمعات الاوربية ، الى جانب اعتراف « هرتسل » الضمنى بان اليهود هم المتسببون فى معظم الازمات الاقتصادية التى تعرض لها العالم الغربى · ولعل آخر الاخطار التى تعرضت لها الجماعة اليهودية بسبب رغبتها فى السيطرة على الحياة الاقتصـــادية للمجتمع الاوربى ما حدث فى المانيا فى عصر « هتلر » الذى أضطر الى تهجير وتشريد جماعات كبيرة من يهود بلاده · وهكذا فبدلا من أن يعمل « هرتسل » على التقريب بين اليهود والشعوب سعى الى توسيع الهوة بين للفريقين ، وقد عرضت هذه السياسة معظم اليهود الذين لم يهاجروا الى فلسطين لكثير من المضايقات · ويرجع الخطأ الاول فى ذلك الى « هرتســــــل » الذى عالج العنصرية بعنصرية أشد وأقوى ·

***

الفصل الثانى

الصهيونيـــة الروحيـــة

أولا : آحاد هاعم والصهيونية الروحية :

أهملت الصهيونية السياسية التى نادى بها « هرتسـل » الجـانب الروحى من الحياة اليهودية ، بينما اهتمت بالبحث عن عـلاج سياسى دبلوماسى للمشكلة اليهودية . وقد أدى هذا التقصير فى الفكر الصهيونى الى ظهور دعوة صهيونية جديدة ، أطلق عليها « الصهيونية الروحية » وقد دعى اليها المفكر الصهيونى « أشر جنزبرج » الذى اشتهر باسم « آحاد هاعم » (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧) ، والذى اهتم بالجانب الاخلاقى والثقافى فى حركة بعث القومية اليهودية . وعلى الرغم من أن أفكار « آحاد هاعم » الصهيونية قد رفضت من جانب معظم التابعين للحركة الصهيونية ، الا أنها أثرت فى عدد لا بأس به من رواد الصهيونية ، وبخاصة « حاييم ويزمان » الذى تبنى افكار « آحاد هاعم » واعطاها مكانا بارزا فى فكره الصهيونى وكذلك مارتن بوبر ومورد خاى كابلان .

وفى الوقت الذى كانت فيه المشكلة اليهودية مشكلة سياسية فى نظر « هرتسل » ، قدم « آحاد هاعم » هذه المشكلة على أنها مشكلة حضارية روحية اخلاقية . ومن هنا اختلف الاثنان على كيفية عرض ومعالجة المشكلة ، فاعتقد « آحاد هاعم » أن (١) اليهودية ، وليس اليهود ، هى التى يجب أن تكون محرر التفكير القومى اليهودى ولهذا فالمشكلة فى نظره هى كيفية المحافظة على الروح اليهودية فى العالم الحديث ، وقد حذر « آحاد هاعم » من خروج

---

(١) The Zionist Idea p. 51.

اليهودى الى العالم ، واندماجه فيه ، ففى ذلك ضياع الروح اليهودية ، والتراث الحضارى اليهودى . ولكن كيف يواجه اليهودى العالم الجديد بمتغيراته ؟ وهل له أن يقبل الحياة المعاصرة بمفاهيمها التى لاتتفق فى كثير من جوانبها مع التراث القديم ؟ . وهنا يحاول « آحاد هاعم » تقديم حل يختلف عن حل « هرتسل » وهو التوفيق بين قيم الحضارة اليهودية . وقيم الحضارة العلمانية ، وهى حضارة العالم الحديث (١) .

ولم يختلف « آحاد هاعم » عن « هرتسل » فقط فى العلاج الذى قدمه للمشكلة اليهودية ، ولكن أيضا فى وسيلة تحقيق هذا العلاج . فوسيلة « هرتسل » كانت العمل السياسى والدهاء الدبلوماسى . ولم يكن هذا العمل يناسب شخصية « آحاد هاعم » وفكره ، فهو لم يكن يطمئن الى عالم غير اليهود اطمئنان « هرتسل » اليه . ولهذا لم يتخذ من الطريق السياسى منهجا له ، بل حاول أن يجد حل المشكلة من داخل العالم اليهودى ، ودون الاعتماد على العالم الخارجى . ولم يكن هذا الا عن طريق أحياء الروح اليهودية من الداخل ، وبعثها حضاريا واخلاقيا ، لكى يقاوم بها ضياع الشخصية اليهودية فى العالم المعاصر . ولا شك أن تربية « آحاد هاعم » ونشأته فى الجيتو وبين يهود شرق أوربا أثرت على تطور فكره الصهيونى ، وجعلته يختلف تماما ، بل ويعارض صهيونية « هرتسل » بشدة . فقد احتفظ « آحاد هاعم » بشعور أهل الجيتو ، وهو شعور معاد للعالم الخارجى ، بينما كان « هرتسل » يثق فى هذا العالم الذى نشأ فى أحضانه ، واعتمد عليه كثيرا فى تنفيذ برنامجه .

آحاد هاعم والمركز الروحى :

قدم « آحادهاعم » فكرة المركز الروحى كاحدى الدعائم الرئيسية التى تقوم عليها صهيونيته ، فهو يرى ضرورة أن يبنى اليهود لانفسهم مركزا روحيا لقوميتهم فى فلسطين . فاليهود فى رأيه قوم يشتركون فى شعور

---

(١) AhadHa-c'Am, «The Transvaluation of Values», in Selected Essays of Ahad Ha-c'Am. p. 239.

قومى واحد ، ولابد لهذا الشعور القومى المشتت من الاتحاد فى مركز واحـــد يتجه اليه يهود العالم ، ويحسون فيه بوحدتهم الروحيـــة • ولهذا أطلق « آحاد هاعم » على هذا المركز اسم « المركز الروحى » الذى سيؤدى الى تقوية الشعور القومى فى أرض الشتات ، ويعيد الى اليهودى استقلالـــه الفـكرى واحترامه للنفس ، كما سيعطى اليهودية مضمونا قوميا أصيلا فيربط بين يهود فلسطين ويهود الشتات (١) •

ويعترف « آحاد هاعم » أن فكرة المركز الروحى لليهود تعنى الرفض لفكرة العودة الكلية للجماعات اليهودية الى فلسطين ، وقد تعرض بسبب هذه الفكرة لنقد شديد من جانب الصهاينة السياسيين • فقد فهم هؤلاء دعـــوة « آحاد هاعم » على أنها تعنى أن اليهود لايحتاجون الى الاستقرار المادى ، وانشاء المستعمرات الاستيطانية أو العمل بالصناعة والتجارة وغيرهما من الانشطة • وقد اضطر « آحاد هاعم » الى الدفاع عن فكـــرة المركز الروحى بقوله : أن الصفة الاولى لهذا المركز هى صفة روحية تحدد وظيفته فى العمل على بعث الروح اليهودية ، ولكن هذا المركز ككل المراكز الحيوية يهتم بالمشاكل المادية ، ويعمل على بناء نظام اقتصادى يناسبه • ولابد له من أن يحتاج الى الزراعيين والعمال والحرفيين والتجار وغيرهم •

ووظيفة المركز الروحى الاشراف على كل هذه الانشطة ، والاطمئنان الى أن النظام الاقتصادى للشعب اليهودى يجب أن يعتمد على الجـــانب الروحى ، كما وضعه التراث اليهودى • ففى هذا المركز سيظهر من جديد الانسان اليهودى الاصيل ، حاخـــاما كان أو عالمـــا أو مزارعا أو صاحب حرفـــة (٢) •

وفى رأى « آحاد هاعم » أن علاج المشكلة المادية ليس بالحصول على بيت يعيش فيه الانسان اليهودى ، ولكن برفع روحه المعنوية ، وبعث احساسه

---

(١) Leon Simon, Ahad — Ha - c'Am, Asher Ginzberg, a Biography, Herzl Press, N.Y. 1960, p. 293.

(٢) The Meaning of Jewish History, p. 363.

القومى . اذ لا ينتظر أن يتم ذلك تلقائيا بعد الاستقرار والاستيطان فى فلسطين . فالمستوطنات الزراعية مهما ارتفع عددها ، وعظم شأنها ، فهى لن تنقذ الروح اليهودية ، ولن تجمع شمل القوى اليهودية المشتتة فى العالم . ولذلك فاليهود فى حاجة الى مركز روحى يجتمعون حوله ، وهو مركز روحى واحد يضم كل الأنشطة اليهودية الروحى منها والمادى (١) .

وكان هدف « آحادهاعم » من هذا أن الصهيونية لا يجب أن تحدد أهدافها بالعمل المادى على استيطان فلسطين ، بل كان يرى ضرورة الجمع بين هدف الاستيطان وبناء المركز الروحى ، ليكون مصدرا دائما للثقافة اليهودية ، تتطور داخله العلوم والفنون والآداب ، فترفع من المستوى الثقافى للشعب اليهودى (٢) . وطالب « آحادهاعم » بأنشاء الاكاديميات الثقافية والتعليمية ، فهذا فى رأيه عمل عملاق ويفوق تأثيره على ما يمكن أن يحدثه أنشاء مئة مستعمرة زراعية . فهذه المستعمرات لن تحدث الثورة التى يتوقعها « آحادهاعم » للحياة اليهودية عامة ، وللجوانب الدينية والثقافية منها بشكل خاص (٣) .

ويعترف « آحادهاعم » بأن التطور الطبيعى لحياة الأمة يبدأ بالمراحل السفلى ويتدرج الى المراحل العليا ، ولهذا فالاهتمام الأول يجب أن يوجه الى تأمين موقف الأمة الاقتصادى والسياسى . ثم يتجه بعد ذلك الى الجانب الروحى الا أنه يعتقد أن هذا هذا الموقف لا ينطبق على وضع الأمة اليهودية ، فهو يدعى أن الأمة اليهودية ليست أمة جديدة ، ولكنها أمة قديمة صعدت السلم الحضارى من أسفله الى أعلاه ، ثم انقطع نموها الطبيعى وتوقف ، وأصبحت الأمة اليهودية أمة معلقة فى الهواء ، وتحمل أثقالا حضارية لا تجد لها الأساس الصحى للتطور الحر ، والنمو الطبيعى .

---

(١) The Meaning of Jewish History. p. 364.

(٢) Ahad Ha-c'Am, «A Spiritual Centre», in Contemporary Jewish Thought, A Reader ed. by Simon NOVECK the Colonial Press, Clinton, 1963., p. 49.

(٣) المرجع السابق ص ٤٩ .

والآن بعد أن ظهر الأمل فى بناء الحياة اليهودية من جديد ، فهل يصح فى رأى « آحادهاعم » أن يهمل اليهود هذا التراث الثقافى ، ويركزون على المصالح المادية · ورأى « آحادهاعم » أن يهتم اليهود بالجانبين الثقافى والمادى من حياتهم ، وأن يبنوا من القاع والقمة معا ، لان الوضع اليهودى ليس وضعا عاديا ، ولهذا ليس من الضرورى أن يقتدى اليهود بغيرهم من الأمم فى هذا الشأن ، بل عليهم أن يتبعوا طريقتهم الخاصة ، مهما بدت غريبة أو غير عادية فى نظر الآخرين (١) ·

وفى النهاية يعتقد « آحادهاعم » أن على الصهيونية ـ أن تحدد هدفها البعيد قبل أن تنغمس فى تيارات السياسة والدبلوماسية ، فتنسى الهدف الأهم وهو احياء الروح اليهودية · ومن رأيه أيضا أن الجهود التى يبذلها الصهاينة السياسيون لتحسين الموقف السياسى والاقتصادى لليهود ليست من مهام الصهيونية كفكرة روحية ، وأن هذا التحسن الاقتصادى والسياسى لن يغير الروح اليهودية وهو يرى أن أصحاب الصهيونية السياسية لا يمكنهم الاهتمام بالجانب الروحى (٢) ، طالما أنهم مهتمون بالجانب المادى البحت من حياة الأمة اليهودية ، والذى قد تستفيد منه مجموعة قليلة من اليهود · أما العمل الثقافى الحضارى فستكون فائدته عامة لليهود جميعا ، سواء فى فلسطين أو خارجها ، ولهذا لابد وأن يكون العمل الثقافى الروحى الأساس الأول للعمل الصهيونى حتى يتحرر الانسان من العبودية الروحية (٣) ·

أحاد هاعم والمشكلة اليهودية :

بعد أن انعقد المؤتمر الصهيونى الأول الذى حضره آحادهاعم كتب

---

(١) المرجع السابق ص ٥٠ ·

(٢) Ahad Ha-c'Am, «The Spiritual Rivaval» in Selected Essays of Ahad Ha-c'Am, p. 294-295.

(٣) Benjamin M. Kahn, « Freedom and Identity, the Challenge of Modernity » in Tradition and Contemporary Experience, Essayson Jewish Thought and Life, ed. by A. Jospe, Schoken Books, 1970, p. 14-15.

أحادهاعم مقالا عن الدولة اليهودية عبر فيه عن آرائه فى هذه الدولة ، وعن معارضته للتفكير الصهيونى السياسى الذى تزعمه « هرتسل » فى هـــذا المؤتمر . وكان رأى « هرتسل » هو ضرورة الاسراع فى اتخاذ الخطـوات اللازمة لانشاء الدولة اليهودية ، فأوضاع اليهود فى العالم تستوجب ضرورة البدء فى مشروع الدولة .

ورأى « هرتسل » أيضا أن اقامة الدولة ربما كان أسرع وأيسر من فكرة استعمار فلسطين واستيطانها . وقد وافق أعضاء المؤتمر الصهيونى الأول على رأى « هرتسل » بينما اعتبر « أحادهاعم » انتصار « هرتسل » فى هذا المؤتمر انتصارا رخيصا . اذ أن جمع الشتات اليهودى غير ممكن بالوسائل الطبيعية ، وخلق الدولة اليهودية فى رأيه أمر غير طبيعى . وآحادهاعم لاينكر أن عدد اليهود فى فلسطين قد يزداد الى أن تمتلىء الأرض ولكن على الرغم من هذا فستظل الغالبية العظمى من اليهود يعيشون خارج فلسطين مشتتين فى الأقطار المختلفة .

ومن المستحيل فى رأى « آحادهاعم » جمع هذا الشتات من أقطـــار الأرض المتعددة وحتى اذا كان انشاء الدولة اليهودية لا يعنى جمع الشـــتات اليهودى كله ، بل استقرار جزء صغير من الشعب اليهودى فى فلسطين ، فكيف تعالج الدولة اليهودية المشكلة المادية لكل اليهود فى أرض المنفى وهنا يشكك « آحادهاعم » فى قدرة الصهيونية السياسية على حـل مشـــاكل اليهود المادية . (١) وهذا يعنى فشل الفكر الصهيونى السياسى عـــلى المستويين المادى والروحى . فالمشكلة على المستوى المادى لن تنتهه بقيـــام الدولة اليهودية ، وذلك لأن الموقف اليهودى يعتمد من الناحية المادية عـلى الأوضاع الاقتصادية للعالم الذى تعيش فيه الجماعات اليهودية .

ومن الناحية الروحية يرى « آحادهاعم » أن المشكلة الروحية اليهودية — تظهر فى شكلين مختلفين . فهناك مشكلة روحية شرقية ، أى خاصـــة

---

(١) Ahad Ha-c'Am, «The Jewish State and the Jewish Problem » in the Zionist Idea, p. 264.

بيهود الشرق ، وهناك مشكلة روحية غربية خاصة بيهود الغرب • (١) ويرجع هذا الاختلاف الى الاختلاف بين صهيونية يهود الشرق وصيهونية يهود الغرب • ويتهم « آحادهاعم » أعضاء المؤتمر الصهيونى الأول بأنهم عالجوا مشكلة اليهودى الغربى ، وأهملوا يهود الشرق تماما ، ويوضح هذا الاتهام الاتجاه العنصرى داخل الحركة الصهيونية ، ولا شك أن هذا قد ظهر بعد ذلك بوضوح فى بناء المجتمع الاسرائيلى الحالى •

ثم يتعرض « آحادهاعم » لتحليل موقف اليهودى الغربى فيقول ان هذا اليهودى الذى ترك حياة الجيتو ، واندمج فى الأغلبية المسيحية هو يهودى تعس لأنه عنصر غير مقبول بين الأغلبية المسيحية • كما أنه لا يجد فى حياة الجيتو ما يحقق آماله بعد أن تعود على الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية فى المجتمع الكبير • وهكذا لا يجد هذا اليهودى التعس أمامه سوى الصهيونية • (٢) ويشرح « آحادهاعم » كيفية انجذاب اليهودى الغربى الى الصهيونية بقوله : انه عندما لا يجد الانسان اليهودى مكانه فى المجتمع الغربى ، ولا يستطيع من ناحية أخرى تحقيق رغباته فى الجيتو ، فهو يفكر تلقائيا فى الدولة اليهودية التى يستطيع فيها أن يحقق الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية المرغوب فيها ، ويحقق بهذا الارتياح النفسى لمجرد التفكير فى هذه الدولة وحاجة الانسان اليهودى الى هذه الدولة حاجة روحية • وذلك لأن الأوضاع المادية ليهود غرب أوربا أوضاعا جيدة ، ولهذا فحاجته الى الدولة اليهودية تعبر عن رغبة روحية لا مادية (٣) •

أما الصهيونية التى اعتنقها يهود الشرق ، فقد كانت فى رأى «آحادهاعم» تعبيرا عن حاجة مادية وروحية • فحالتهم المادية كانت حالة سيئة لا تقارن بوضع اليهودى الغربى ، كما أن الجانب الروحى من مشكلتهم كان يخص اليهودية • ولذلك فهى مشكلة قومية ، بينما كانت مشكلة فردية لدى يهود الغرب الذين نشأوا على التعليم والثقافة الاوربية وابتعدوا عن التراث

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٤ •
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٥ •
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٥ •

اليهودى . وبالنسبة لليهودى الشرقى فقد كانت مشكلته أعصى علــى الحل . فهو لم يتعرض بمفرده لاضرار الخروج من الجيتو ، ولكن اليهودية أيضا تعرضت معه للخطر . فاحتكاك اليهودية بالثقافة العلمانية أدى الى ضرورة البحث عن وسائل جديدة للدفاع عن اليهودية . ولأن الثقافـــة المعاصرة ثقافة قومية ، فلا مكان فيها لمن لا يريد أن يتخلى عن شخصيتـه الموروثة وتقاليده . وأصبحت اليهودية بهذا غير قادرة على التطوير مــن نفسها بطريقتها الخاصة والخطر الذى يراه « آحادهاعم » أنه بمجرد خروج اليهودية من لجيتو فهى تنفصم الى أكثر من يهودية لكل شخصيتهــا وحياتها المختلفة حسب اختلاف دول المنفى (١) .

اليهودية اذن فى خطر اذ يرى « آحادهاعم » أن اليهودية لا تتقبـــل حياة المنفى ، بل تسعى الى العودة الى ما يسميه « أحادهاعم » بمركزهــا التاريخى حيث تتطور تطورا طبيعيا . ولكى تحقق اليهودية هذا الهدف ، فهى لا تحتاج الى دولة ، بل تحتاج فقط الى خلق الظروف القديمة الــتى عاشت فيها اليهودية (٢) . وهكذا يعرض « أحادهاعم » المشكلة على أنهــا ليست مشكلة اليهود ، كما صورها الصهاينة السياسيون ، ولكنها مشكلة اليهودية والدولة التى يرى « أحادهاعم » امكانية ايجادها هى دولة يهودية لا دولة يهود . ولهذا فالصهيونية السياسية فى رأيه لا تشبع رغبة المهتمين باليهودية ، وقوتها الروحية ، وهذه القوة الروحية عند « آحادهاعم » هــى التى ساعدت على بقاء الانسان اليهودى .

ويحذر « آحادهاعم » من فشل الأهداف السياسية ، فيفقد اليهودى الأساس القديم بعد أن خسر الجديد . ويتهم أصحاب الفكر السياسى مــن الصهاينة بانهم بعيدون روحيا عن التراث اليهودى وهذا يعنى ضـــياع اليهودية فى الدولة التى تفكر الصهيونية السياسية فى انشاءها ، وذلك لأن اصحابها لا يفهمون طبيعة اليهود ولايدركون قيمهم . وستكون النتيجـــة أن الدولة التى يودون اقامتها ليست دولة يهودية ، لكن دولـة يهود المـــان

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٧ .

وفرنسيين وانجليز ٠٠ ومثل هذه الدولة ستأتى بالموت والعار التام للشعب اليهودى ، ولن تحصل هذه الدولة على القوة السياسية التى تمكنها من اكتساب احترام الجميع وهى بعيدة عن القوة الروحية ، ولاتستمد اخلاقياتها من الأخلاق والثقافة اليهودية (١) ٠

ومثل هذه الدولة ستعتمد على الحظ فى استمرارها ، مستفيدة من التغييرات السياسية ٠ ومثل هذه الدولة فى رأى « آحادهاعم » لن تمنح الانسان اليهودى الشعور القومى الذى يجعله يقدر تراثه ، ويحترم ثقافته اليهودية ، وستصبح هذه الدولة دولة صغيرة لا أهمية لها ، ولن بضيف وجودها مجدا الى التاريخ اليهودى (٢) ٠

أليس من الأفضل لهذا الشعب أن يختفى من على وجه الأرض خيرا من أن تصل به الحال الى هذا المستوى ؟ (٣) ٠

***
*

(١) المرجع السابق ص ٢٦٨ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٩ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٩ ٠

خاتمة

حاولنا فى الصفحات السابقة اثبات علمانية الحركة الصهيونية وقد اتضحت هذه العلمانية فى أكثر من اتجاه فى هذا البحث • فقد حاولنا توضيح الكيفية التى ربط بها زعماء الفكر الصهيونى بين فكرة الصهيونية والتراث الدينى اليهودى وان هذه الكيفية قد أضرت بالمفاهيم الدينية الثابتة فى الديانة اليهودية وأدخلت عليها معانى لا تحتملها وأفكارا لا تتضمنها • هذا بالاضافة الى أنها أحدثت نوعا من الاضطراب بين الطوائف اليهودية التى تعودت على مضمون دينى معين لتجد نفسها أمام تفسير مخالف تماما لما تعودته • وضربنا مثالين على ذلك ، **المثال الأول** يختص بمفهوم الخلاص الذى يفهمه اليهود فهما دينيا بحتا على أنه تعبير عن علاقة بين الله والانسان • هذا الفهم الدينى تحول على يد زعماء الصهيونية الى علاقة جديدة بين الانسان اليهودى والعالم الذى يعيش فيه • ومعنى ذلك أن الله أصبح لا مكان له فى هذا الفهم الجديد ، فقد تصور الصهاينة أن مشكلة الانسان اليهودى ليست مع ربه ، ولكنها مع العالم ، ولهذا تصورت أيضا أن الخلاص ليس خلاصا يقوم على علاقة الانسان بالرب ولكنه خلاص يقوم على الجهود الانسانى المنفصل من الالوهية • كما فهمت أزمة الانسان اليهودى فى العالم على أنها أزمة لا يمكنها انتظار المسيح المخلص لكى يضع نهايتها • ولكنها تحتاج الى جهود اليهود فى كل مكان لوضع نهاية لوضعهم الغريب فى العالم •

وهكذا تحول الأساس الدينى لنظرية الخلاص الى أساس علمانى وبدلا من التركيز على خلاص الانسان اليهودى الأخروى نادت الصهيونية بخلاصه الدنيوى •

والمثال الثانى : الذى ضربناه يختص بنظرية الاختيار وهى أيضا من النظريات العتيقة فى الديانة اليهودية ولها أصول ثابتة فى الكتابات اليهودية المقدسة ، بل هى النظرية التى ميزت اليهود عبر العصور وأثرت على تاريخهم وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى • تعرضت هذه النظرية أيضا لهزة عنيفة على

يد مفكرى الصهيونية • وهنا يجب أن نشير الى أن الاختيار قد فهم على مر العصور فى اتجاهين متضادين :

الاتجاه الأول فهم الاختيار فهما أخلاقيا فاعتبر الأمة اليهودية أمة مختارة من عند الرب لتبليغ رسالة دينية أخلاقية • حتى الشتات اليهودى وجد له تفسيرا مناسبا يلائم هذا الفهم الأخلاقى ، وهو أن الرب تسبب فى تشتيت الأمة اليهود حتى تستطيع هذه الأمة تبليغ رسالته للبشرية كلها • وهذا الاتجاه لا يخلو من عنصرية • فهو تمييز ربانى لليهود للقيام بعمل يستطيع أى شعب آخر القيام به فلماذا اليهود بالذات ؟ ومن ناحية أخرى اذا كان هذا الشعب قد فضله الله على كثير من الشعوب وجعله مسؤولا عن تبليغ رسالة الهية • فلماذا ينسى هذا الشعب الرسالة ويركز على التفضيل ويحوله الى مفهوم أساسى وهنا يظهر :

أما الاتجاه الثانى فى الاختيار فهو الاتجاه العنصرى البحت الذى يتحدث عن الجنس اليهودى ويفضله على بقية الأجناس البشرية ولا ندرى كيف تحول المفهوم الدينى العام الى مفهوم جنسى سلالى خاص • كل ما نعرفه هو أن التركيز تحول من الرسالة الى الجنس القائم بتبليغها • وهنا تكمن مغالطة أخرى وهى تبدو فى هذا الرأى المتطرف الذى يعتبر اليهود جنسا من الأجناس من دون البشرية ، ويعزل هذا الجنس عن بيئته ، وعن أصوله السامية القديمة ليجعله قائما بذاته الى حد اتهام المعادين لهذا الجنس المزعوم بعقدة أسموها عقدة المعاداة للسامية وانفردوا هم بالجنس السامى بأسره متجاهلين كل الشعوب السامية القديمة والتى ربما نقول أكثر أصالة من الناحية الموضوعية • وبالاضافة الى هذا نضيف تناقضا آخر • وهو أنه فى الوقت الذى يفسر فيه بعض اليهود نظرية الاختيار على أساس أن اليهود أصحاب رسالة الهية للبشرية نجدهم يحولون اليهوديه الى دين جنسى خاص ، ويمنعون غيرهم من البشر من الدخول فى هذا الدين ، والديانة اليهودية اشتهرت عبر التاريخ بأنها ديانة غير تبشيرية أى انها ديانة لا تسعى الى جعل رسالتها رسالة عالمية لكل البشرية • كيف اذن نعالج هذا التناقض بين الادعاء الخاص بالرسالة الالهية الموجهة للبشرية وبين

الخصوصية التى التزمت بها اليهودية ، أى التناقض الواضح بين عالمية الرسالة وخصوصية الشعب ؟

كل هذه التساؤلات توضح لنا مدى الارتباك الذى أحدثه الفكر الصهيونى فى البناء العام للدين اليهودى · ولا نكون معالين اذا قلنا أن الصهيونية أحدثت صدعا لا يرأب فى الديانة اليهودية · فهذا الفهم الجديد لمعانى الخلاص والاختيار بالذات أبعد الدين اليهودى عن الاطار الدينى المشترك بين كل الأديان ، وحول الدين اليهودى الى دين قومى بما لكل هذه العبارة من معانى · وتسبب هذا التفسير فى بلبلة الجماعات اليهودية مثقفة أو غير مثقفة · فقد تغيرت بعض القيم الدينية بين الفهم القديم لها والتفسير الصهيونى الجديد · وأحدث هذا ارتباكا فكريا ودينيا · وقد تأثرت الجماعات الشعبية من اليهود بهذا الارتباك نتيجة للضغوط الصهيونية المتواصلة عليها ، وثارت فى أذهانها العديد من التساؤلات الخاصة بمصير اليهودية كدين بعد ظهور الصهيونية · وهل تحقيق الخلاص على يد الصهيونية يعنى نهاية اليهودية كدين · وهذا بطبيعة الحال يؤدى الى اثارة مزيد من التساؤلات حول القيمة الدينية للصهيونية · وان كان فى امكان الصهيونية أن تحتل مكان الديانة اليهودية · وان صح هذا فأى تجربة تلك التى يشعر بها الصهيونى ؟ وهل هى مساوية للتجربة الدينية ؟ · الى آخره من التساؤلات التى تختص بطبيعة الدين وطبيعة التجربة الدينية وتطبيق مواصفاتها على الصهيونية · وقد ثبت لنا من هذه المقارنة بين الصهيونية وبين الديانة اليهودية أنه من المستحيل أن تحتل الصهيونية مكان الديانة اليهودية فى عقل اليهودى ووجدانه · وذلك بدليل أن الصهيونية قد أفلست بعد أن تحقق أملها فى اقامة دولة اسرائيل وأصبح زعماؤها يتخبطون اليوم بلا ايديولوجية واضحة ، وهذا يعنى أن الصهيونية كغيرها من الحركات العلمانية قد تكون عرضة للزوال نظرا لعدم وجود أيديولوجية دينية ثابتة لها وقد انتهت الصهيونية كحركة علمانية وبقيت اليهودية كدين يجمع حوله يهود العالم ·

والمحاولة الثانية التى أثبتنا عن طريقها علمانية الحركة الصهيونية هى مقارنتها بالحركات الدينية التى ظهرت فى اليهودية ، وكان الهدف من هذه المقارنة معرفة الطبيعة الحقة للصهيونية بتطبيق مواصفات الحركة

الدينية عليها . وقد اتضح من المقارنة التى عقدناها والعرض الذى أوردناه لبعض الحركات الدينية اليهودية المعاصرة أن الصهيونية لايمكن بأى حال من الأحوال تصنيفها ضمن الحركات الدينية لأسباب عديدة منها أن الحركة الصهيونية ليس لها موقف معين من الديانة اليهودية ونعنى بالموقف هنا الرؤية الدينية الساعية الى تحقيق أحد أمور ثلاثة : الأول المحافظة على المفاهيم الدينية الموروثة وذلك بعدم احداث أى تغيير فيها ورفض كل محاولات التجديد والاصلاح فى أى جانب من جوانب الحياة اليهودية وبخاصة الحياة الدينية والرؤية الثانية هى الرؤية التجديدية التى تحاول شرح الدين وتفسير العقيدة الأصلية شرحا عصريا يناسب المتغيرات الزمانية والمكانية ، والبحث عن حلول من داخل الدين للمشاكل الناجمة عن التفاعل بين الدين والبيئة فى الحدود الزمانية والمكانية الممكنة . وهناك رؤية ثالثة اصلاحية تسعى الى اجراء تعديلات فى مضمون الدين والعقيدة الأصلية وان اضطرب الى التخلى عن كثير من الأفكار الدينية الموروثة ان ثبت عدم جدواها بالنسبة لليهودى المعاصر . وطبيعى أن يكون من أهداف الاصلاح تخليص العقيدة الأصلية مما دخلها من عناصر غريبة عليها والعودة بها الى حالتها الأولى . وقد يكون هدف الاصلاح التجديد من أجل مسايرة العصر بالتخلى عن بعض العقائد التى تقف عقبة فى سبيل تحقيق الاصلاح .

وبتطبيق هذه الرؤى المختلفة للدين على الحركة الصهيونية اتضح لنا من الدراسة أن الصهيونية لا تملك رؤية دينية واضحة تجبرنا على ضمها للحركات الدينية التى ظهرت فى الديانة اليهودية . فالحركات الدينية التى عددناها اتبعت فلسفة معينة على أساسها تطور فكر الحركة وعلاقتها بالديانة الأم ما بين فلسفة أصولية أو تجديدية أو اصلاحية . وقد ارتبط بهذه الفلسفة أو الرؤية الدينية تطور نظام دينى خاص ميزكل حركة من الأخرى ، وهو نظام لا شك مشتق عن الديانة اليهودية ولكنه مـ ؛ فى نفس الوقت عن الرؤية الخاصة لكل حركة .

وقد خلت الحركة الصهيونية بحكم طبيعتها السياسية من أى نظام دينى تبغى نشره بين اليهود ، كما أنها لا تملك برنامجا دينيا يجبرنا على وضعها ضمن الحركات الدينية اليهودية ، كما أنها لم تبد رأيا فى طبيعة

الديانة اليهودية ، وفى عقائدها المختلفة باستثناء عقيدتى المسيح المخلص والاختيار ، ومن المعروف أن الرؤية الصهيونية الجديدة لهذين المفهومين ليست رؤية دينية ولكنها تصور علمانى للمفهومين الدينيين ، وهذا يبتعد بالحركة الصهيونية عن جوهر الحركة الدينية ويضعها بين صفوف الحركات العلمانية ، ولأنها تسعى الى تحقيق هدف قومى فهى حركة علمانية قومية لا علاقة لها بالدين وان اضطرت الى اعادة تفسير بعض مفاهيمه ، ودليلنا على هذا أن الصهيونية لم تحاول الدعوة الى المحافظة على القديم فى اليهودية ، أو الدعوة الى التجديد فيها ، أو ادخال اصلاحات عليها • وهذا يؤكد عدم اصالة العنصر الدينى فى الفكر الصهيونى وذلك لعدم مطابقتها لأوصاف وطبيعة الحركة الدينية التى تضع لنفسها برنامجا دينيا محددا قائما على رؤية دينية خاصة • حتى الهدف السياسى للصهيونية لم يكن هدفا خالصا لها فقد اشتركت فيه الحركات الدينية اليهودية المختلفة التى عالجت مشكلة الانسان اليهودى وعلاقته بالعالم الذى نعيش فيه وحاولت تحديد بعض المبادىء الخاصة بعلاقة اليهودى بعالم غير اليهود ، وحاولت ايضا وضع حلول لما يسمى بالمشكلة اليهودية • وقد جاءت هذه الحلول مسايرة للرؤية العامة للحركة • وهذا يعنى أن الحركات الدينية اليهودية قد عبرت أيضا كما فعلت الصهيونية عن رأيها السياسى فى المشكلة اليهودية ، ووسائل علاجها ، وقد عولجت هذه المشكلة بشكل أو بآخر داخل اطار الرؤى الخاصة بهذه الحركات وهذا يوضح أن الصهيونية لم تكن فى الحقيقة معبرة عن ضرورة تاريخية فى حياة اليهود كما دعى زعماؤها ، كما أنها لا تمثل تيار الخلاص الوحيد فى الفكر اليهودى المعاصر فقد عبرت كل الحركات الدينيه عن رأيها فى الخلاص ، ولكنها انفردت عن الصهيونية فى ربطها بين الخلاص الدنيوى والخلاص الأخروى بينما اكتفت الصهيونية بالخلاص الدنيوى وهذا دليل واضح على علمانيتها الخاصة •

وقد رأينا من ناحية أخرى وفى عرضنا للأيديولوجيات الصهيونية كيف أن الصراع بين الصهيونية السياسية والصهيونية الروحية لم يتطرق فى حقيقة الأمر الى الدين • ولهذا لا يجب أن نخدع بلفظ « الروحية » الذى تدعيه هذه الأيديولوجية اذ ليس المقصود به العودة الى الدين أو اشارة الى

بناء صهيونى دينى مرتبط بالعقيدة اليهودية . ولكنه تعبير تبنته الصهيونية المعارضة لصهيونية هرتسل السياسية ، واتهمت صهيونية هرتسل بخلوها من أى مضمون ثقافى ، الأمر الذى سيؤدى بالدولة الاسرائيلية الى أن تصبح دولة يهود المان وفرنسيين وانجليز ولكنها ليست دولة يهودية مرتبطة أساسا بالتراث والثقافة اليهودية . وهذه الدعوة الثقافية تهتم بالتراث اليهودى وبالأشكال الثقافية اليهودية الأصل التى توفر الانسان اليهودى الشعور القومى اللازم لاستمرار وجوده فى هذه الدولة . ومن هنا فهذا التيار الثقافى المناهض للصهيونية السياسية ليس تيارا دينيا أصيلا ، والدليل على ذلك أن القائمين عليه لا تقل لهم فى الحياة الدينية اليهودية وان كانوا من أهم الشخصيات الفكرية فى التاريخ اليهودى المعاصر .

وهكذا يتضح لنا من هذه الدراسة القصيرة لطبيعة الحركة الصهيونية ، أن الحركة علمانية الاصول وان جذورها الدينية واهية للغاية على الرغم من استخدامها لبعض الاصطلاحات الدينية . فهذه الاصطلاحات ، رغم الاحتفاظ بها ، قد تلقت معانى مختلفة مناقضة لمعانيها الأصلية فى الديانة اليهودية . هذا بالاضافة الى أن الفكر الصهيونى لم يتبين فلسفة دينية أو يضع برنامجا أخلاقيا يسير على هديه الانسان اليهودى فى حياته اليومية وقد ابتعد بهذا عن مضمون الدين وهدفه .

تم بحمد الله ،،،

***

*

المراجـــع العـــربية

اسعد رزوق (دكتور) الدولة والدين فى اسرائيل ٠

دراسات فلسطينية رقم ٣٧ منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٨ م ٠

ـــ فى المجتمع الاسرائيلى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧١ م ٠

اسماعيل راجى الفاروقى (دكتور) أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ٠ معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٤ م ٠

ـــ الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ، معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٦٨ م ٠

حسن ظاظا (دكتور) الفكر الدينى الاسرائيلى ٠ أطواره ومذاهبه ، القاهرة ١٩٧١ م ٠

فاروق محمد جودى (دكتور) الصهيونية واللغة ٠

دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٧٧ م ٠

محمد بحر عبد المجيد (دكتور) اليهودية

مكتبة سعيد رأفت ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ م ٠

المراجـــع الأجنبيـــة

Agus, B. Jacob, Dialogue and Tradition, the Response of Judaism to the Major Challenges of the Contemporary World, Abelard — Schuman London, 1971.

———— « Ethnic Antisemitism and Political Zionism » in, The The Meaning of Jewish History, VI, II, Abelard — Schuman, London, 1963.

Ahad Ha — c'Am, (Asher Ginzberg) The Jewish state and the Jewish Problem », in, The Zionist Idea, ed. by Arthur Hertzberg, Atheneum, 4 th. Printing 1971.

———— « The Spiritual Revival » in Selected Essays of Ahad —Ha-c'Am, trans, from the Hebrew by Leon Simon, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1962.

———— « The Transvalation of Values » in Selected Essays of Ahad Ha-c'Am, Philadelphia, 1962.

———— « Slavery in Freedom » in, Selected Essays of Ahad Ha-c'Am, Philadelphia, 1962.

Bamberger, Bernard, The Story of Judaism, Schocken Books, N.Y. 1965.

Berkovitz, Eliezer, Towards Historic Judaism, Oxford East and West Liibrary, 1943.

Blau, Joseph, L., Modern Varieties of Judaism, Columbia Univ. Press, N.Y. 1966.

Declaration of Principles Adopted by a Group of Reform Rabbis at Pittsburgh, 1885 in, Yearbook f the Central Conference of American Rabbis, XLV (1935) .

Chazan, Robert and Raphael, Marc Lee, Editors, Modern Jeiwsh History, Schocken Books, N.Y., 1974.

Cohen, Arthur, Argments and Doctrines, a Reader of Jewish Thinking in the Aftermath of the Holocaust, Selected with introductory essays, Harper and Row, 1970.

——— The Natural and the Supernatural Jew, an Historical and Theological Introduction, Mc Graw-Hill, N.Y. 1964.

Ettinger, Eamuel « Hibbat Zion » in Zionism, Keter pub. House, Jerusalem, 1973.

Glazer, Nathan, American Judaism, Chicago, the Univ. of Chicago Press. 1957.

Gordis, Robert, Judaism in a Christian World, Mc Graw-Hill Book Co., N.Y., 1966.

——— « A Jewish Prayer Book for the Modern Age », Conservative Judaism, II, 1, October 1945.

Herberg, Will, « The Chosenness of Israel and the Jew of Today in, Argments and Doctrines, ed. by Arthur Cohen, 1970.

Hertzberg, Arthur, edKZ The Zniost Idea, a Historical Analysis and Reader, 44 th Printing, Atheneum, N.Y. 1971.

Hertzberg, Arthur, The French Enlightenment and the Jews, The Origins of Mdern Anti-Semitism, Schoken Books, 1970.

Herzl, Theodr, « Opening Address at the First Zionist Congress » in, Zionist Writing, Essays and Addresses, Vol. I., Herzl Press, N.Y., 1973.

——— The Jewish State' in, The Zionist Idea, ed. by A. Hertzberg, 1971.

Hess, Moses, « Rome and Jerusalem », in the Zionist Idea, ed. by A. Hertzberg, 1971.

Jewish Theolgical Seminary Students Annual, New York, 1914.

Jospe, Alfred, ed., Tradition and Contemporary Experience, Essays on Jewish Thought and life, Schocken Books, N.Y., 1970.

Kaplan, Mordecai, Judaism as a Civilization, Toward a Reconstruction of American Jewish Life, Schocken Books, N.Y., 1967.

——————— A New Zionism, Herzl Press and Jewish Reconstructionist Press, New York, 1959.

Katz, Jacob, « The Jewish National Movement : A Sociological Analysis » in Jewish Society Through the Ages, ed,, by H.H. Ben Sasson and S. Ettinger, Schocken Books, N.Y. 1973.

Katz, Jacob, Tradition and Crisis, Jewish Society at the End of the Middle Ages, Schocken Books, N.Y., 1971.

Noveck, Simon, ed., Contemporary Jewish Thought, a Reader, Clinton, 1963.

Pinsker, Leo, « Auto — Emancipation : an Appeal to his People by a Russian Jw», Modern Jewish History a Source Reader, Schocken Books, N.Y. 1974.

Parter, J.N. and Drier P., d. Jewish Radicalism, Grove Press, N.Y., 1973.

The Reconstructionist, Vol. No; 17, 1964.

Roth, Cocil, ed., The Standard Jewish Encyclopedia, Massadah Pub. Co., Jerusalem, 1966.

Rudavsky, David Modern Jewish Religious Movements, a History of Emancipation and Adjustment, Behraman House, N.Y., 1967.

Sachar, H.M., Th Course of Modern Jewish History, Dell Pub Co., 1958.

Scholem, Gershom, The Messianic Idea in Judaism, and Other Essays on Jewish Spirituality, Schocken Books, N.Y., 1972.

Selzer, M. ed., Zionism Reconsidered : the Rejection of Jewish Normalcy, th Macmillan Co. N.Y., 1970.

Silver, Abba Hillel, A History of Messianic Speculation in Israel from the First through the Seventeenth Centuries, Beacon Press, Boston, 1959.

Simon, Leon, Ahad Ha - C'Am, Asher Ginzbrg, a biography Herzl Press, N.Y., 1960.

رقم الايداع ٢٤ ١/١٩٨١

الترقيم الدولى ٠ ـ ٥٣ ـ ٧٣٤٦ ـ ٩٧٧

دار التضـــامن للطباعة

٢٢ شارع سامى ـ ميدان لاظوغلى

تليفون ٣٠٥٥٦ ـ القاهرة

H